سناء المصرى



الإخوان المسلمون

والطبقة العاملة المصرية

الإخوان المسلمون
والطبقة العاملة المصرية

تأليف

سناء المصرى

الإخوان المسلمون والطبقة العاملة المصرية

كل هذا العداء

من الأحداث يمكن أن نعرف حقيقة القوى السياسية دون تزييف ولا مواربة.. خصوصا إذا كانت تلك القوى نشأت على إستخدام اللغة المطاطة وتدربت على أعمال التمويه..

والإخوان المسلمون تدربوا منذ بداية تكوينهم على إستخدام تلك الأساليب واستفادوا كثيرا عبر تاريخهم من المظلة الضبابية التى يغلف بها الخطيب كلامه حتى يصبح فضفاضا يرضى جميع الأطراف ويصعب الإمساك به فى نفس الوقت.

يكتفى بالإيحاء بالشئ ولا ينطقه صراحة وعلى السامع أن يفهم حسب هواه أو حسب الموقف والظروف.

وبدعوى أن المؤمن " كيس.. فطن" فإن مقياس نجاح هذا المؤمن يكون بقدر مايفلح فى ترك الباب مواربا ليدخل منه كل من يمكن أن يبتلع الطعم بينما تظل المبادئ راسخة فى يقين الخطيب وفى يقين تياره.

والإخوان المسلمون هم أكثر من ينطبق عليهم المثل الشعبى :

" أسمع كلامك أصدقك.. أشوف أمورك استعجب"

ولمعرفة الحقيقة لا مفر إذن من النبش فى تلك المنطقة المستترة خلف الدعاية ومهرجانات استعراض القوة وتضخيم الذات.

لا مفر من إستحضار التاريخ. وكشف ماتعرض للنسيان بفعل براعتهم السياسية وهزال القوى الأخرى فى مواجهتهم.

ولكن من أين نبدأ والحلقات الاجتماعية متعددة الأطراف..؟

وهم يتحدثون باسم الأمة الإسلامية وكأنها كتلة مصمتة واحدة.

ويموهون الصراع الاجتماعى ويعطونه أسماء جديد.

يتحدثون عن الرأسمالية والرأسمالين بمسميات جديدة.

يدعونهم بالأغنياء ويقولون أنه من الطبيعى أن يملكوا ويتربعوا على عرش الثروة.. ومن ثم يطالبون بالتسامح معهم وإعطائهم فرصا جديدة ومنحهم كل الإمكانيات والتسهيلات.

ولكنّ هل تغير المهارة اللفظية حقيقة وضع الأطراف الاجتماعية المتصارعة..؟

- وهل تغير بعض الرتوش مايترتب على القبح من أوضاع ظالمة..؟

ماموقفهم من الطرف النقيض فى عملية إنتاج الثروة..؟

ماموقفهم من العمال.. وكيف يرون مكانهم فى الخريطة الاجتماعية .. كيف يرون حقوقهم الاقتصادية والسياسية..؟ كيف يرون التمردات العمالية الكبرى..؟ وماموقفهم من أسلحة الإضراب والتظاهر والاعتصام..؟ وفى النهاية ماذا يعدون للعمال من مصير..؟

هل نثقل عليهم بقضايا لم يطرحوها.. ونسألهم فى مواضيع لم يخوضوا فيها..؟

لا..لا.. غير صحيح.. فالإخوان والجماعات الإسلامية ظاهرة سياسية تعيش واقعنا الحالى وتنتج عنه.. يصارعون القوى السياسية الأخرى حينا

ويتحالفون معها أحيانا أخرى.. يصعدون على أكتافها بعض الوقت ويحاولون خنقها فى أوقات أخرى.. ولديهم تصورات نظرية عن المشاكل والمعضلات الاجتماعية .. وطالما خاضوا فى قضايا الرأسمالية وقضايا العمال.

ولكن بأى روح.. ولخدمة أى أهداف..؟

فلنقرأ تاريخهم إذن ونبحث فى ثناياه عما يخفون..

وهم كما يعرف الجميع لم يسيروا على وتيرة واحدة ... بل صعدوا وهبطوا عدة مرات.. ظهرت بثورهم على سطح المجتمع واختفت... فى فترات كانوا قوة سياسية ظاهرة الوجود.. وفى فترات أخرى إندثروا..

كانوا ك(الزجزاج) المتعرج حينما يأكل النسيان نصفه الأسفل ويترك فراغات كبيرة بيضاء لاظل لهم فيها..

حيث إمتدت الحلقة الأولى لجماعة الإخوان المسلمين من عام ١٩٢٨م وحتى عام ١٩٤٨م.. وإنتهت باغتيال حسن البنا وتعقب الجماعة..

وانشغلت بقية الجماعة فى الصراعات الداخلية حتى عام١٩٥٢م.

ومع ٢٣ يوليو كان صعودهم الثانى وهبوطهم..

وعلى إثر قمع الناصرية الشديد لهم إنكفأوا على جراحهم حتى كانت عودتهم الجديدة بعد عام ١٩٧٣م.

ولكن ماسر تلك الحركة الصاعدة.. الهابطة..؟

ماسر التحالف مع الحكومات المختلفة.. وسر إنقلاب الحكومات عليهم؟

هل لطبيعتهم السياسية علاقة بذلك..؟

هل هناك دور ماتؤديه تلك الجماعة لإعادة ترتيب الأوضاع الاجتماعية

فى لحظات بعينها.. ثم تنتهى الحاجة إليها..؟

وهل تملك الجماعة أطراف اللعبة أم يملكها الحليف.. أم هو صراع القوى الذى يعارك الأحداث ويحاول أن يستميلها كل طرف لصالحه بإستخدام الآخر...؟

فلنقرأ تاريخهم إذن ونبحث فى ثناياه عما يخفون .. ولا يمكن أن نفهم حقيقتهم كظاهرة سياسية إلا بتأمل كلا الجانبين:

- مواقفهم الشديدة الحدة والعنف.
- ولغتهم الشديدة المداهنة.

وسنجدهم يظهرون وجها فى فترات السكون.. وفى خضم الصراع يظهرون وجها آخر.

ولذلك فإن المراوغة والإلتواء والتلون اللانهائى هى كنة المسألة وبيت القصيد هنا.

وخلف كل ذلك .. تقبع حقيقة موقفهم من طرفى الصراع الاجتماعى الأساسيين .. الرأسماليين والعمال.. فما حقيقة هذا الموقف..؟

وكيف تجلى فى الفترات الاجتماعية السابقة...؟

الفصل الأول

الأحداث والوقائع
والتاريخ لاينسى

يدعى الإخوان المسلمون أنهم قريبون جدا من العمال، منذ نشأتهم الأولى في الاسماعيلية وسط جمهور شعبى فقير معظمه من العمال.

وحتى بعد إنتقالهم إلى القاهرة وإتساع الجماعة وإنتشارها فى مختلف الأقاليم يدعون أن شعبهم الكثيرة كانت مفتوحة للعمال تمد يد المساعدة للمحتاجين منهم، تعلمهم القراءة والكتابة وتفقههم فى شئون الدين.

ويتناسى " الإخوان " عشرات الوقائع التى توضح ماذا فعلوا بهذا القرب.. وكيف إستغلوه فتباعدت المسافة فيما بينهم وبين العمال. حتى كانت القطيعة معهم فى منتصف الأربعينات.

***

ويبدو أن الجماعة اكتشفت نفسها خلال الأحداث وظهرت روحها العملية وقدرتها على الاستفادة من الظروف المحيطة بها ويوما بعد الآخر زادت روابطها مع الأغنياء وكبار الملاك والحكام.

وفى البداية أثيرت علامات الاستفهام حول هذه الجماعة الصغيرة المتحلقة حول شخص مدرس وافد الى المدينة، وسرعان ما أجرت وزارة المعارف تحقيقا مع حسن البنا مؤسس الجماعة عام ١٩٣٠ بناء على طلب من اسماعيل صدقى رئيس الوزراء.. وانتهى التحقيق باطمئنان صدقى الذى لم يكن يطمئن إلى أى جماعة من الجماعات والأحزاب السياسية الموجودة آنذاك بسبب الاضطراب السياسى الواقع والمظاهرات المتوالية.

وفى هذه الفترة كانت مصر تعانى من آثار الكساد الكبير الذى بدأ عام

١٩٢٩في العالم كله وامتد إليها-. فكسدت الأعمال وزادت البطالة وارتفعت الأسعار.

وكما يقول أمين عز الدين (أن الأزمة خلقت صعوبات جسيمة في حياة الطبقة العاملة وأدى ذلك إلى تحريك تيارين متناقضين حول الأجور:

أولهما: تيار وسط العمال الذين تطلعوا نحو تحقيق زيادات في الأجور لمواجهة الغلاء والإرتفاع المستمر في أسعار الحاجات الضرورية.

ثانيهما: تيار وسط إدارات الشركات وأصحاب الأعمال الذين تطلعوا نحو ضغط الأجور حفاظا على مستوى أرباحهم أو محاولة لخفض التكلفة في مواجهة المنافسة المستمرة حينذاك).[١] وسواء كان صاحب رأس المال مصريا أو أجنبيا أو كونهما شركاء فقد كانت ظروف العمل قاسية وتصاعدت نضالات العمال لإنتزاع تشريع منصف للعمل مع حق تكوين النقابات وتحديد ساعات العمل ورفع الأجور إلى غير ذلك من المطالب المحسدة لأزمة طاحنة تعكس نفسها على الحياة اليومية للشعب.

وفي هذه الفترة كان الشغل الشاغل لجماعة الإخوان المسلمين المكونة حديثا هو موضوع النمو والإنتشار في الاسماعيلية والمدن المحيطة بها ، وكانت الجماعة بزعامة حسن البنا لاتجد حرجا في قبول أي مساعدة تقدم لها من كل الجهات الموجودة آنذاك.. الرسمية وغير الرسمية، والمصرية وغير المصرية.. بروح برجماتية صرفة.

في نفس الوقت الذي كانت عيون المؤسسات والجهات المختلفة ترقب حركة مثل هذه الجماعة وتحاول أن تفهم كنهها.

وليس غريبا في هذا الإطار أن نجد تقارير عديدة عن جماعة الإخوان

مرفوعة إلى الجهات العليا. منها هذا التقرير المؤيد للجماعة الذى يذكره حسن البنا فى مذكراته بفخر واضح بقوله:

{ من الطرائف كذلك أنه جاء فى تقرير أحد رجال البوليس بهذه المناسبة أن كثيرا من الذين لم تنفع معهم وسائل التأديب البوليسية ولم تردعهم عن إرتكاب بعض الزلات قد أفلحت معهم الوسائل الروحية التى تؤثر بها جماعة الإخوان على نفوسهم فصاروا من أمثلة الإستقامة والصلاح وأنه يقترح- رجل البوليس- أن تشجع الحكومة وتعمل على تعميم فروع هذه الجماعة فى البلاد حتى يكون فى ذلك أكبر خدمة للأمن والإصلاح.} [٢]

كما نلمح فى هذا الوقت بداية إهتمام جهات أخرى بجماعة الإخوان المسلمين مثل الإدارة الأجنبية لشركة قناة السويس المهيمنة على منطقة القناة عموما.

وهناك حادثة مشهورة ذكرها جميع المؤرخين سواء منهم المتعاطف مع الإخوان أو غير المتعاطف معهم ، وهى حادثة قبول حسن البنا مبلغ خمسمائة جنيه كتبرع من الإدارة الأجنبية للجماعة، ويروى " البنا" تلك الواقعة بقوله:

[جاءنى أحد الموظفين يدعونى لمقابلة البارون دى بنوا مدير شركة القنال- بمكتبه بالشركة فذهبت إليه فتحدث إلى عن طريق مترجم بأنه رأى البناء - المسجد- وهو يود أن يساعدنا بتبرع مالى وهو لهذا يطلب رسما ومذكرة للمشروع، فشكرت له ذلك وانصرفت ووافيته بعد ذلك بما طلب ومضى على ذلك شهور كدنا ننسى فيها البارون ووعده ولكنى فوجئت بعد ذلك بدعوة ثانية منه إلى مكتبه فذهبت إليه فرحب بى ثم ذكر لى أن الشركة اعتمدت

مبلغ خمسمائة جنيه مصرى للمشروع فشكرت له ذلك وأفهمته أن هذا المبلغ قليل جدا ولم يكن منتظرا من الشركة تقديره لأنها فى الوقت الذى تبنى فيه على نفقتها كنيسة نموذجية تكلفتها ٥٠٠٠٠٠ خمسمائة ألف جنيه أى نصف مليون جنيه تعطى خمسمائة فقط ، فاقتنع بوجهة نظرى وأظهر مشاركتى فيها ولكنه أسف لأنه هذا هو القرار.} (٣)

وفضلا عن وضوح روح المساومة فى النص السابق وتجسيده لروح التفرقة بين المسلمين والمسيحين فى المقارنة حول ما أعطى للكنيسة ومايخصص للمسجد - وهى فكرة أساسية لدى الإخوان- فإن الحدث برمته يثير علامات استفهام كثيرة حول طبيعة الجماعة واساليب كلا الطرفين:

فإذا كانت إدارة شركة القناة ترغب فى وجود مسجد استرضاء لرغبات مستخدميها وجمهور المدينة من المسلمين، فلماذا لا تقوم ببناءه هى مباشرة حيث سيعود الفضل إليها وتكتسب رضى هذا الجمهور..؟

لماذا تقوم بذلك عن طريق جماعة خارجية لها ميول غامضة..؟

والمعروف أن شركة القناة ليست جمعية خيرية تقوم بتقديم التبرعات بل لها من الأهداف السياسية والاقتصادية مالا يخفى على أحد فى ذلك الزمان..؟؟؟

وإذا كانت الجماعة صادقة فيما تدعيه من العداء للأجانب ، فلماذا تتعامل مع نفس هؤلاء الأجانب عن طريق ممرات خلفية غير معلنة للجمهور، حيث لم تنكشف تلك الوقائع إلا بعد حدوث خلافات داخل جسم الجماعة وإنشقاق البعض.

ومن جهة أخرى نجد صمت الإخوان المطبق إزاء الأحداث العمالية

المتصاعدة.

ففى الاسماعيلية مقر الإخوان المسلمين، اندلعت عدة اضرابات ضد إدارة الشركة وفى مرفق النور وفى مرفق المواصلات.. لكن لا تعليق إخوانى واحد على هذه الأحداث المبكرة وكل ماهنالك أخبار عن نشاط إخوانى يتركز فى الوعظ الدينى وإقامة الصلاة والاحتفالات بمناسبة المولد النبوى- الهجرة-رمضان - العيد . وفى فترة التكوين والإنتشار الأولى، كان الإخوان يوجهون دعايتهم بنفس الأسلوب السابق فى كل المواقع الجماهيرية: المقاهى- الجوامع - البيوت ، وأحيانا فى بعض المواقع العمالية التى أتيح لهم عقد صلة مع بعض أفرادها فيبعثون بمندوب الإخوان لإلقاء الوعظ عليهم بصفتهم محض أفراد مسلمين دون التورط فيما يخص الأوضاع العمالية.

وفى نفس الوقت الذى يؤكدون فيه أنهم ليسوا بجماعة سياسية يحرصون على إظهار ولائهم للسراى والملك، حتى أن البنا يخاطب عمال الاسماعيلية أثناء الإعداد للاحتفال الذى تعده شركة قناة السويس للملك بقوله :

{ لازم تذهبوا إلى الأسكلة وتحيوا الملك حتى يعرف الأجانب فى هذا البلد اننا نحترم ملكنا ونحبه فيزيد احترامنا عندهم.} [٤]

وتستمر بعد ذلك موجة إظهار الولاء والطاعة للملك فى المناسبات الصغيرة والكبيرة حيث نجد بعد ذلك خبرا عن " تشريف جلالة الملك عاصمة ملكه:

[قرر مكتب الإرشاد العام للإخوان المسلمين الاحتفال بقدوم صاحب الجلالة الملك المعظم عاصمة ملكه يوم الخميس ٢٩ الجارى، فأصدر أمره إلى

جميع الفروع فى الأقاليم أن يصطف الأعضاء بأعلامهم وجوالتهم على المحطات التى يقف فيها القطار الملكى لأداء فروض الولاء والاحتفال بالطلعة المحبوبة.] (٥)

ويبدو أن عمال مصر كانوا يرون وجها آخر لتلك الطلعة المحبوبة، وكانت مظاهراتهم تندد بولاة الأمور الذين أغلقوا اتحاد العمال.

فكانوا يهتفون ضد " اسماعيل صدقى"- صديق الإخوان [الذى ألحق مكتب العمل ضمن جهاز عموم الأمن فى ديسمبر١٩٣٠م والذى فرض الرقابة البوليسة على دور النقابات وعلى سراى عباس حليم فى محاولة لخنق الاتحاد العام] ثم [إنقض عليه يوم ١٥ مارس ١٩٣١ فأغلق مقره الجديد بشارع فؤاد الأول وحظر عقد اجتماعاته وصادر أمواله وموجوداته. كما أغلق دور النقابة الأخرى وأنديتها. وأطلق رجال الأمن يلاحقون العناصر النقابية النشيطة ويسجلون لهم محاضر تشرد فى أقسام البوليس ويعتقلون البعض الآخر.] (٦)

وقوة الضربة التى وجهها إسماعيل صدقى إلى العمال فى ذلك الحين، تجعلنا نوافق على وجهة النظر القائلة أن صدقى قد إستشار الملك فؤاد الأول- حبيب الإخوان الذى يخرجون لتأمل طلعته البهية- قبل أن يوجه ضربته إلى العمال واتحادهم العام ونقاباتهم المختلفة، وأن الفكرة لقيت ترحيب الملك لرغبته فى تأديب الأمير عباس حليم الرئيس الفخرى لإتحاد نقابات العمال، وقد أضرت الضربة بأربعة وخمسين نقابة تابعة للإتحاد منها نقابة عمال قناة السويس.

ووسط كل هذه الأحداث الدامية تأتى دعوة الإخوان لحسن إستقبال الملك،

ولقبول تبرع الإدارة الأجنبية لشركة القناة كدعوة غريبة تفجر علامات استفهام كبيرة حول حقيقة موقف الإخوان من الأطراف الثلاثة المتنازعة:

- رأس المال القابض على شركات كثيرة وأهمها شركة قناة السويس.
- الملك فؤاد ووزارة إسماعيل صدقى والتشريعات السلطوية العنيفة.
- والعمال الذين كانوا يعانون من كلا الطرفين السابقين ويناضلون من أجل الدفاع عن إتحادهم العام ونقاباتهم.

وإذا نظرنا مثلا إلى الأحداث العمالية فى منطقة جباسات البلاح- وهى منطقة تقع بالقرب من مدن القناة وافتتح الإخوان فيها شعبة مبكرة.

وفى هذه المنطقة اندلع إضراب ضخم:

[حاولت الشركة التخلص من اتفاقية العمل المبرمة مع عمالها. وقد استمر الاضراب أحد عشر يوما، وتطور فى يومه العاشر تطورا خطيرا عندما أحضرت الشركة عمالا آخرين من بورسعيد والقاهرة ليحلوامحل العمال المضربين ، وارسلت المحافظة خمسين جنديا إلى البلاح، وطلبت الشركة من البوليس إخراج العمال المضربين من مساكنهم بالقوة ، ولكن العمال رفضوا ذلك.] (٧)

وبرغم مقر الإخوان فى المنطقة.. وإدعائهم الإهتمام بشئون العمال ، إلا أن العمال لم يجدوا منهم فى هذه الأحداث الكبرى التى تناولتها صحف العاصمة بالتعليق القلق سوى التجاهل التام.. ولم يرد أى ذكر أو تعليق عليه فى حينه.

وفى [يوليو ١٩٣٤ تجدد الصراع فى منطقة القنال بين شركة جباسات البلاح وعمالها، بسبب تخفيض الشركة للأجور، ووقع صدام عنيف بين

العمال والبوليس أصيب فيه سبعة عمال برصاص البوليس.] [٨]

ولم يحرك الرصاص الحى المستخدم ضد عمال المنطقة قرار الإخوان بالصمت المطبق والابتعاد عن الإنغماس فى المشاكل العمالية.

ولم ينطق الإخوان بحرف واحد فى التعليق على هذه الأحداث الدامية إلا بعد مرور ثلاث سنوات عليها... - أى بعد خراب مالطة - فقد كتب نائب جمعية الإخوان المسلمين ببور فؤاد تقريرا روتينيا يرثى فيه أطلال المدينة الجميلة ويتألم على أيامها الخوالى:

{ كانت المدينة منذ سنتين أكثر عمرانا مما هى عليه الآن ، نظرا لكثرة العمال الذين كانوا يسكنون مبانيها.. فرفعت الشركة أجور المساكن فهجر كثير من العمال المدينة وقلت الحركة التجارية، فإذا خفضت الشركة قيمة الايجار قليلا لكثرت السكان، وانتفعت الشركة ماليا وانتعشت حركة العمران.} [٩]

ويبدو " حسن فرج" كاتب التقرير السابق كمن أخذه النعاس- أو الذى تناعس زمنا طويلا، حدثت فيه أحداث دامية وأبيد البشر وجفت الحياة وحينما استيقظ أخذ يتساءل:- أين الناس...؟ أين التجارة..؟ أين العمران...؟

والمهم لدى هذا " الإخوانى الأصيل" هو حركة التجارة والعمران حتى ولو كان وقودها العمال ومطالبهم، ولذلك فهو يعرض لجانب واحد من المشكلة وهى حيوية التجارة فى المدينة.

أما خفض أجور العمال فلا وزن لذلك إلا بمقدار ما أثر على حركة التجارة و لا لقرار الإدارة برفع أجور المساكن إلا بمقدار ما أثر هو الآخر على

حركة التجارة، وطرد العمال بالقوة ، واستخدام البوليس. وحتى قتل بعض العمال، لا أهمية لكل ذلك ولا ذكر له فى تقرير " الإخوانى الأصيل".

خصوصا وأن هذا التقرير السنوى المكتوب عن حال المدينة عموما.. جاء تاريخه متأخرا عن أحداث البلاح المتفجرة طوال الفترة من ١٩٣٢، وحتى١٩٣٤.

بينما تاريخ التقرير المنشور بجريدة الإخوان كان فى ٢٠ أغسطس ١٩٣٥ بعد أن نجحت الشركة فى قمع عمالها وتصفية وجود المشتركين فى الأحداث باقتطاعهم هم وأسرهم من المنطقة برمتها.

وفى العموم كانت صحافة الإخوان فى طورها الأول تخلو من أى نقد اجتماعى أو سياسى للحكومة وأصحاب الأعمال.

وكانت تخلو أيضا من أخبار التحركات العمالية التى كانت تنشب فى ذلك الوقت وتمتلئ بها الصحف الأخرى.

وإذا تصادف وقدم الإخوان نقدا فيكون فى ظروف استثنائية نادرة، وعلى استحياء، وفى حدود هامشية لا تمس جوهر الحقوق العمالية بل تغلب عليه روح العتاب الرقيق والتلويح بدعامات تقوى مصالح رأس المال كما فى قولهم:-

{إذا خفضت الشركة قيمة الإيجار قليلا.. انتفعت الشركة ماليا.} (١٠)

***

وعلى عكس التراخى فى نشر أخبار الاضرابات العمالية ، كان الإخوان ينشطون فى منافسة الفرق البريطانية فى لعب الكرة:-

{ تبارى فريق كرة القدم للإخوان بالاسماعيلية، مع فريق الطيران

البريطانى على ملعب الطيران داخل المعسكر الإنجليزى..

وقد انتهت المباراة بتغلب فريق الإخوان بخمس إصابات ضد إصابة واحدة للإنجليز.

وقد شاهد المباراة كثير من الإخوان والجنود الإنجليز.} (١١)

***

وبينما فترة الثلاثينات تشهد تصاعد الإضرابات العمالية من أجل المطالب السابقة، كان إتجاه الإخوان يمعن فى الإبحار تجاه عقد الصلات والروابط مع الوجهاء والأعيان :-

{ كانت جمعية الإخوان المسلمين ببورسعيد فى مقدمة الهيئات التى احتفلت بمقدم صاحب السعادة" محمد على علويه" باشا من رحلته الطويلة مع وفد المؤتمر الإسلامى العام.} (١٢)

ولم تكن تلك الاحتفالات والاستقبالات مجانية أو للمحبة الخالصة، بل كان الإخوان يوثقون صلتهم مع علية القوم والجهات الرسمية من أجل إنشاء شعب ومقرات جديدة، بصرف النظر عن مصرية تلك الجهات أو عدم مصريتها :-

{ تقدمت الجمعية لسعادة المحافظ السابق بالتماس رفعه سعادته للأعتاب الملكية بتوصيات شديدة للتكرم بإنشاء مسجد ببورفؤاد وكان ذلك فى سبتمبر ١٩٣٣، وفى فبرايد سنة ١٩٣٥ قدم طلب لسعادة نائب المحافظ لإرساله إلى جناب البارون دى بنوا مدير عام شركة القنال بالقاهرة بإلتماس ببناء المسجد على نفقة شركة القنال.

ولما رأت الجماعة أن هذا الموضوع قد طال الوقت عليه دون تنفيذ تقدمت

بإلتماس آخر فى ٢٩سبتمبر ١٩٣٥ إلى إدارة الشركة ببورفؤاد، منحنا أرضا فى المربع ٩٦ لإنشاء مسجد خشبى عليها بصفة وقتية.}[١٣]

وجميع الوقائع السابقة تقدم صورة لجماعة تستخدم كل الطرق والوسائل وعلى رأسها التزلف واستخدام العمال والجمهور الشعبى الفقير كديكور يحشد فى المناسبات الرسمية لتحية جلاديه حيث يستخدم هذا الجمهور كمطية تعبأ بنظام يوحى بالقوة والهيبة ويلقى فى روع الآخرين الإحساس بأهمية الإخوان المسلمين وقوة نفوذهم.

لقد كان الإنتشار والصعود شغلهم الشاغل فى ذلك الحين ، مما صبغ مواقفهم بصبغة عملية بحتة، فراعوا علية القوم وتملقوا السلطات وتجنبوا المواقف الصدامية، بل كانوا يمتصون روح المقاومة من العمال الذين ينجذبون إلى الجماعة.

وفى كثير من المواقع استغل الإخوان المسلمين العمال الموجودين بنفس المنطق الرأسمالى السائد.. نفس ساعات العمل.. نفس الأجور وربما أقل بسبب صغر تلك المشروعات.

إذ كان من أسس تواجد الجماعة أن تعمل على إنشاء (مصنع محلى صغير(يستخدم فيه الإخوان الأيدى العاملة المحلية فى الإنتاج وتوفير المال اللازم لتمويل بعض أنشطة الجماعة.

وواضح أن العلاقة بين هؤلاء العمال وبين جماعة الإخوان كانت لا تختلف عن العلاقة بين العمال وملاك المصانع عموما.

الفارق الوحيد هو فى صغر تلك المشروعات، حتى كادت أن تكون بيوتا مصنعية قزمية، أومشروعات حرفية صغيرة.

لقد بنت الجماعة نفسها ودعمت وجودها بفائض عمل العمال الذين إستخدمتهم فى هذه المشروعات الصغيرة- إلى جانب الوسائل البرجماتية الأخرى التى سنعرض لها بعد ذلك - فأخذت بذلك دور المالك الصغير الذى يستنزف عماله ويقتطع من جهودهم كل مايستطيع مستعينا فى ذلك بغطاء دينى لايغنى من جوع ولايغير جوهر العلاقة بين العامل وصاحب العمل.

***

وبعد أربع سنوات من عمر جماعة الإخوان المسلمين{ وفى نهاية صيف عام ١٩٣٢ طلب حسن البنا نقله إلى القاهرة، وأجيب إلى طلبه.} [١٤]

وهناك كون المركز العام للإخوان المسلمين. وقد حرص الإخوان على إنشاء مطبعة وتأسيس مجلة مركزية.

راحت تنشر دعايتهم وتوجه العمل فى الشعب المختلفة وتتابع إنشاء شعب جديدة بنفس الأسس الهيكلية لتواجد الإخوان فى أى منطقة، والقائمة على بناء مقر ومسجد ومصنع:

{ فى الاسبوع الفارط احتفل فرع شبراخيت بوضع حجر الأساس للمسجد والمصنع، واحتفلت المحمودية بافتتاح مصنع النسيج والسجاد التابع للجمعية وترأس الحفلين سعادة بيومى نصار بك مدير البحيرة} [١٥]

وهكذا يتحول فقراء المنطقة إلى عمال فى مصانع الأعيان أو فى مصانع الإخوان لافرق.. وقد تفاوتت هذه المصانع بين مشروعات صغيرة ومشروعات متوسطة مع بداية إنتفاخ جيب الجماعة وسيلان العملة النقدية فى خزائنها وأصبحت الجماعة تتحدث بثقة أكبر، وزعماؤها يعقدون الصفقات السياسية بقوة أكثر وضوحا.

لقد راحت الجماعة توثق علاقتها بالرأسمالية الكبيرة بصوت مسموع، إلى حد توجيه خطابات مفتوحة إليهم على صفحات الجرائد:

{ إلى صاحب السعادة على إسلام باشا:-

أنتم من الإخوان المسلمين العاملين ولكم فى مضمارى المال والعمل شأن جليل.. والذى أعتقده أن جماعة من المصريين تضمكم وتضم أمثال الشناوى بك وطلعت باشا حرب ورجال العمل والخبرة بالأسواق ومن أصحاب الفضل فى النهضة الصناعية الملموسة بعد الحرب العظمى. إذا أهابت بالمصريين فإنهم يلبون النداء.

وإذا جعلت قيمة السهم عشرة أو أربعة من الجنيهات فغير بعيد أن يتجمع لها من المال ماتطلب بل مايزيد.} (١٦)

وحقيقة ماكان يحدث فى مصانع الأصدقاء الروحيين للجماعة يمكن أن نقرأه فى مذكرات العمال البسطاء مثل " طه سعد عثمان" الذى عمل لفترة بمصنع نسيج" إسلام باشا فى بنى سويف" وهو نفس الرجل الذى يوجه الإخوان خطابهم السابق إليه.

ولنلاحظ الفرق بين الموقفين :-

موقف الإخوان كجماعة سياسية، وموقف العامل البسيط، مع ملاحظة أنه يتحدث عن تجربة شخصية وأنه كان عضوا بجماعة الإخوان المسلمين فى نفس الوقت.. ومع ذلك يقول:-

{ كانت القناعة والرضى بالقليل والأفكار الخاطئة عن الرزق والتى تلبس ثوب الدين وتدعو للإستسلام لكل ماهو سئ بإعتباره قدرا لا مفر منه، كانت هذه هى النظارة السوداء التى حجبت عنى وعن غيرى من عمال مصنع

نسيج إسلام ماكنا نعانيه من قهر وإستغلال.} (١٧)

ولم تطل علاقة طه سعد بهذا المصنع الذى عرف فيه الاستغلال، وسرعان ما إنتقل إلى القاهرة.

وسوف نعرض بعد ذلك لتطور علاقة " طه سعدعثمان" بالإخوان المسلمين، التى بدأت بالود الخالص ثم تحولت إلى العداء الواضح بفضل مواقف الإخوان ضد الطبقة العاملة وحركتها المطلبية.

وسنرى أنه لم يكن وحيدا فى هذا الموقف حيث تبعه عدد كبير من عمال شبرا الخيمة.

***

الملك حائر والإخوان يتقدمون

رسخ الإخوان المسلمون علاقتهم مع كبار الملاك، كما رسخوها مع الملك عن طريق " على ماهر" رئيس الديوان الملكى ثم رئيس الوزراء بعد ذلك، وتوسعت شعبهم وراحوا يتبهون بابراز عضلاتهم ونشر أخبار فرق الجوالة على الملأ. فى الوقت الذى كانت كل الأحزاب السياسية تعانى من القمع الشديد بعد أن (عطل " اسماعيل صدقى" دستور ٢٣، وحل مجلس النواب والشيوخ، وألغى نظام التصويت المباشر، وألحق مكتب العمل بإدارة عموم الأمن بوزارة الداخلية..) [١٨]

ولم يستثنى من هذه الإجراءات الصارمة سوى الإخوان المسلمين...!!!

وأخذت حكومات الأقلية من بعده نفس الموقف(أصدرت وزارة محمد محمود فى ٨ مارس ١٩٣٨ مرسوما بقانون يحظر نشاط الجمعيات أو الجماعات التى يكون لها صور التشكيلات شبه العسكرية. وقد طبق ذلك القرار على فرق القمصان الزرقاء الوفدية وفرق القمصان الخضراء التى أنشأتها جماعة مصر الفتاة دون أن يمتد هذا الحظر إلى فرق الجوالة التابعة للإخوان .) [١٩]

أما وزارة " على ماهر" الثانية فى أغسطس ١٩٣٩ فكانت :-

{ فاتحة لعهد الامتيازات وحرية الحركة للإخوان. ولقد انتعشت الحركة بالفعل فراحت تعقد المؤتمرات فى القاهرة والأقاليم فضلا عن نشر الدعوة بحرية مطلقة دون أن يكون هناك مايعكر صفو الحركة. يضاف إلى ذلك

ماتلقاه الإخوان من عون مادى من المصروفات السرية لوزارة الداخلية التى كان يتولاها على ماهر إلى جانب رئاسته للوزارة.) [٢٠]

ومن كثرة المساعدات التى تلقاها " حسن البنا" فاحت رائحتها كما يقولون، وأثيرت عنها التساؤلات داخل الجماعة مرات عديدة، مما اضطر "البنا" إلى عقد إجتماع خاص للأعضاء يبرر لهم فيه موضوع المساعدات وموقفه من حكومات الأقلية، { وقد قدم للأعضاء التفسير المعتاد والتقليدى القائل بأن الجماعة لاتعارض ولا تؤيد أية حكومة مهما كان. ذلك لأن الجماعة ليست حزبا سياسيا بالمعنى الشائع والسائد لتلك الكلمة. وكل ماحصلت عليه الجماعة من أموال من حكومة صدقى هو مساهمة حكومية مشروعة فى أنشطة الجماعة الخيرية.} [٢١]

ولكنه تبرير واه... ومنطق ضعيف.. لايكاد يستر حقيقة العلاقة بين رأسمالى طاغية ومنظم سياسى.. خصوصا وأن الأمر تعدى شخص " صدقى" إلى رؤساء حكومات الأقلية الآخرين، وبعض رموز الرأسمالية المستقلة غير الحكومية.

{ وبفضل الصلة الوثيقة مع على ماهر والبلاط حصل البنا منهما على مساعدة مالية وتمتع بحماية البوليس وكانت له صلات مع صالح حرب وعبد الرحمن عزام وعزيز المصرى الذين كانوا يريدون استخدام كل التجمعات الإسلامية القومية، خاصة الإخوان المسلمين فى تحقيق مآربهم.} [٢٢]

***

ولا يمكن أن نفصل الآن فيمن سعى إلى الآخر.. الملك والسراى وأحزاب الأقلية هم الذين سعوا إلى الإخوان.. أم العكس...؟

ولو أن معظم المؤرخين يميلون إلى أن الإخوان المسلمين قد استدرجوا فى تلك الفترة ليكونوا الذراع الضاربة لأحزاب الأقلية والملك، وأنهم { لم يدركوا خطر هذا التحالف الذى أجبروا عليه.} (٢٣)

ولكنى لا أعتقد فى هذا الإستدراج والإجبار.. لإن تاريخ الإخوان ملئ بالتحالف مع الحكومات والأحزاب المختلفة، وفى كل مرة يحددون هدفهم فى الصعود على أكتاف الحليف.. وفى كل مرة ينقلب الحليف ضدهم بعد أن يستخدمهم ويستخدموه.

والواضح تاريخيا أن جميع الأطراف كانت فى أشد الحاجة إلى بعضها البعض فى ظل حالة الميوعة الحزبية واشتداد الغضب الشعبى.. فأحزاب الأقلية تبدو كأحزاب معلقة فى الهواء معزولة عن الجماهير.

وتقارير البوليس تؤكد على خطورة الأوضاع الاجتماعية.

والملك حائر بين كل ذلك يريد سندا لعرشه.. ويتلفت حوله فلا يجد سوى أحزاب الأقلية التى تحتاج بدورها إلى سند.

إنه يبحث عن قوة يناور بها الإنجليز، ويلوح بها فى وجه حزب الوفد، ويقيمها سدا أمام الغضب الشعبى والعمالى إذا ماتفجرت الأمور.

أما من ناحية الإخوان فقد كانوا يحتاجون فى فترة توسعهم الأول إلى تغاضى الحكومة عن نشاطهم الآخذ فى الإنتشار، فى نفس الوقت الذى لم يكن لديهم أية عوائق فكرية للتلاقى مع الملك وحاشيته.. فصفقوا له كثيرا وأحاطوه برداء إسلامى - حتى ولو كان مشهورا بالإستهتار وسوء السمعة.

وكما رأينا من قبل - كيف تعاونوا مع الملك فؤاد الأول، إتخذوا من وريثه خليفة ، وخرجوا يهتفون ويقسمون له بالولاء.

(نهبك ولاءنا على كتاب الله وسنة رسوله). [٢٤]

وسموه بالفاروق كناية عن الفاروق عمر بن الخطاب.

ولقبوه بالمليك المفدى، وغيرها من كلمات العشق التى ملأت جرائدهم بجوار صوره وصور عائلته..!!؟

والنتيجة الأخيرة أن الأطراف الثلاثة (الإخوان المسلمين- الملك - احزاب الأقلية) تلاقت حول أهداف معينة، وصارت التقارير والرسائل والمقابلات الشخصية متداولة مباشرة بينهم وبين أجهزة الحكم.

(وفى حديث لـ"سمارت"- الإنجليزى - مع حسن رفعت وكيل وزارة الداخلية حول ذلك أبدى الأخير أنه ليس هناك ضرر من أن يعطى فاروق لهم بعض التشجيع لإنهم أحسن أداة لمحاربة الشيوعية. وكان ذلك فعلا مايقصده فاروق إذ سبب له النشاط الشيوعى الذى أخذ فى الإنتشار قلقا بالغا، هذا الخطر الذى كان يخشاه أيضا الإخوان) [٢٥]

شبرا الخيمة تلفظ الإخوان

يدعى " محمد شريف" الرئيس السابق لشعبة العمال فى جمعية الإخوان المسلمين " أن لجنة عمالية كانت قد تأسست على يد الجماعة فى شبرا الخيمة فى أواخر الثلاثينات". (٢٦)

وفى الحقيقة أن كثيرا من الغموض يدور حول تاريخ شعبة شبرا الخيمة. حيث إنتقل البنا إلى القاهرة عام ١٩٣٢م وفى عام ١٩٣٣م بلغت شعب الإخوان فى كل القطر المصرى خمسة عشر شعبة - حسب البيان المنشور فى جريدة الإخوان - وهى شعب:

{القاهرة - الإسماعيلية- بورسعيد- أبوصير- البلاح- شبراخيت البحيرة- محمودية البحيرة- المنزلة دقهلية- الجمالية دقهلية - ميت مرجا دقهلية- شبلنجة قليوبية- طنطا والسويس .} (٢٧) ولا تحتوى القائمة السابقة شعبة لشبرا الخيمة، بل إن مطالعة الجريدة لسنوات عديدة تالية، ولايرد بها أى ذكر لمثل هذه الشعبة أو لأى نشاط إخوانى فى تلك المنطقة ، ولكن نجد ذكر شعبة " شبرا فقط.. والمنطقة التى تحمل هذا الإسم تختلف عن منطقة شبرا الخيمة ويبدو أن كلام" محمد شريف" السابق يستمد قوته من الجهل العام بتفاصيل التاريخ القديم للجماعة.. بالإضافة إلى الرغبة فى إظهار قوتهم المتوهمة ونشاطهم العمالى المبكر.

وسواء كان تاريخ تأسيس شعبة شبرا الخيمة صحيحا أم غير صحيح فمن الواضح أن تكوينها قام فى البداية على نفس أسس الشعب الأخرى،

بالحرص على الإنتشار فى الأحياء الشعبية الفقيرة، وجذب الجمهور الرازح تحت ضغط الحاجة والفاقة بالدروس الدينية والدعوة إلى الصلاة. وجمع التبرعات من أجل بناء مدرسة وجامع ومصنع يدر الربح على الجماعة.

وربما يكون بعض العمال قدعرفوا طريقهم إلى الجماعة عبر النزعة الدينية الدروس أو العلاقات الشخصية.. ولكن هل يمكن أن نسمى مثل هذه العلاقة نشاطا عماليا..؟

الآن يدعى الإخوان أنهم كانوا أصحاب نفوذ وتأثير واضح على عمال شبرا الخيمة عن طريق " محمد يوسف المدرك ومحمود العسكرى وطه سعد عثمان، وهؤلاء العمال الثلاثة بالتحديد عرفوا بتاريخهم الشيوعى وإندراجهم فى جماعة " طليعة العمال".. فما حقيقة موقف هؤلاء الفرسان الثلاثة..؟

هل بدأوا إخوانا وإنتهوا شيوعيين؟

وهل لعبوا دورا فى يوم من الأيام وسط عمال شبرا الخيمة له صفة إخوانية..؟

ومن خلف هؤلاء الثلاثة كانت تقف المنطقة العمالية التى تضم حوالى ٢٠ ألف عامل يتحركون فى إضرابات متوالية.

فهل كان للإخوان نفوذ سياسى أو فكرى وسط الحركة العمالية هناك.؟

هناك روايتان .. واحدة منهما لطه سعد عثمان العامل المشارك فى كل الأحداث، والثانية لمحمد شريف رئيس شعبة العمال لدى الإخوان المسلمين.

يدعى " محمد شريف" أن طه سعد ظل فى الجماعة كعضو متجانس منذ أواخر الثلاثينات وحتى نهاية ١٩٤٣م. (٢٨)

ومن الطريف ألا نعثر فى مذكرات " طه سعد" على أية إشارة لنشاط نقابى عمالى قام به بدعم أو توجيه من الإخوان، ومايذكره عن أول عمل نقابى قام به كان فى مصنع" هنرى بيار" بعد إنتقاله إلى القاهرة، وكان ذا طابع" سنديكالى" صرف ولا علاقة له بأية أفكار إخوانية وهو نفسه يقول:{فى يوم ٨ مايو ١٩٣٨ وكانت معرفتى بالنقابة لم تتعد أياما قليلة، سمعت عن مظاهرة ينظمها عمال جميع المهن والصناعات للمطالبة بالقوانين العمالية، وذهبت فى صبيحة ذلك اليوم إلى دار إتحاد النقابات أمام جامع أولاد عنان بشارع الجمهورية والذى كان به مقر نقابة عمال النسيج الميكانيكى بالقاهرة وضواحيها خرجت من دار إتحاد النقابات بزعامة النبيل عباس حليم.} [٢٩]

ومنذ ذلك الحين إلتحم طه سعد بالنشاط النقابى الذى يرتبط بالحركة العامة لعمال النسيج فى شبرا الخيمة وكان قوام هذا الفرع الصناعى حوالى تسعة ألاف عامل { كما كان بالمنطقة من عمال الصناعات الأخرى مايكمل عماله مع عمال النسيج حوالى العشرين ألف عامل..} [٣٠]

ومن الأرجح أن " طه سعد " كان فعلا عضوا بجماعة الإخوان المسلمين حتى عام ١٩٤٣، وعلى إثر إزدياد المواقف الإخوانية المعادية لنهر الحركة العمالية. خرج من الجماعة دون عودة ثانية.

ونفس الشئ ينسحب على التاريخ المنسوب إلى محمود العسكرى، الذى يدعى" محمد شريف" أنه كان عضوا متعاونا مع الإخوان فى الفترة من أواخر الثلاثينات وحتى ١٩٤٠، وتاريخ " العسكرى" هو تاريخ إلتحام وثيق مع النشاط العمالى من أجل الإعتراف بالنقابات وإنشاء حزب للعمال

والحصول على الحقوق الإقتصادية المختلفة، وكان العسكرى أحد قادة مظاهرة ٨ مايو ١٩٣٨ تحت زعامة النبيل عباس حليم، كما كان سكرتير مساعد الاتحاد العام لنقابات عمال المملكة المصرية بزعامة النبيل حليم أيضا. أما " محمد يوسف المدرك" أقدم الفرسان الثلاثة نشاطا، فنجد له مقالا مبكرا فى عام ١٩٣٣ بمجلة النذير تحت عنوان" طبقات مظلومة- العمال فى ميزان الوزارة" تعليقا على بيان وزير المالية الذى ينفى فيه وجود أزمة العمال العاطلين لعدم وجود عمال بمصر.

فهل يمكن أن يكون مثل هذا المقال دليل على علاقة بين المدرك والإخوان؟

إذا كان الأمر كذلك.. فكيف نبرر وجود مقالات متعددة للمدرك فى الجرائد المختلفة، بل كيف نبرر حواره المنشور بجريدة الأهرام ذات الميول الرجعية.

والأقرب إلى المنطق أن المدرك كان يحاول بث أفكاره النقابية من خلال كل المنافذ الإعلامية الموجودة، دون أن تحسب حركته على حزب أو تيار بعينه سوى حزب العمال الذى تم تكوينه فعلا فى أول مارس ١٩٣٨ تحت زعامة النبيل عباس حليم، وإنتخب المدرك وكيلا أول له. وكان الإخوان ضد فكرة تكوين حزب للطبقة العاملة.. بل كانوا ضد وجود الأحزاب جميعا، وفى غمرة الصراع السياسى كانوا يعلنون:{ الآن وقد وجبت الدعوة للعمل بالطرق الممكنة (وكل الطرق ممكنة) لحل هذه الهيئات الحزبية جميعها. ولإقامة الشريعة الإسلامية حكما على مصر.} [٣١]

ولقد أحس العمال الذين كانوا فى علاقة مع الإخوان المسلمين بعدم

الرضا حيث كانوا يقعون فى تناقض واضح مع أفكار الإخوان، ولذلك فقد{التقوا فى المركز الرئيسى وقرروا دفع قضايا العمال فى مؤتمر ٢٢ أغسطس١٩٣٨ ومناقشة الأوضاع العمالية السيئة وإمكانية تشكيل حزب للعمال.} (٣٢)

وبالطبع لم يوافق هذا الإجتماع وقراراته هوى القيادات الإخوانية، فتجاهلت مطالب أصدقائها العمال.

وإنغمس عمال شبرا الخيمة فى تشكيل" إتحاد عمال الغزل الميكانيكى" وكان المدرك ومحمود العسكرى وطه سعد ثلاث مولدات للحركة والنشاط فى هذا الإتحاد المعروف بميوله اليسارية.

وكلما تصاعدت الحركة العمالية وتعددت أساليبها زادت حدة الشقاق بين العمال والإخوان ، وحدث بينهما فراق لارجعة فيه.

وإذا نظرنا مثلا إلى رد فعل الإخوان على حركة الإضرابات المتوالية ومنها الإضراب عن الطعام حينما{ إجتمع ثمانية من العمال بمنتزه الملكة فريده وهم محمد يوسف المدرك - لبيب تادرس - عبد المقصود يوسف- عباس يوسف- على صالح درويش- عبد الوهاب محمد- لبيب زكى فهمى - على ريحان - وعلى المراكبى .} (٣٣)

سنجد أن صالح العشماوى عضو مكتب الإرشاد يرسل فى اليوم الثالث للإضراب برقية باسم الإخوان ينصح فيها العمال بالعدول عن خطة الإضراب، ثم نشرت الجماعة مقالا يعبر عن وجهة نظرها جاء فيه:{ نحن لانوافق على هذه الوسيلة وسيلة الإضراب عن الطعام حتى الموت لإنها تتنافى وتعاليم الإسلام، وننصح للعمال بإتخاذ وسيلة أخرى، وحسبهم أن لفتوا نظر الوزراء

والأمة.} (٣٤)

وفى عدد تالى، تظل التعليقات على قضية إضراب العمال عن الطعام مثارة بنفس منطق تكفير العمال الذى يغلف سلب الروح النضالية وإغراقها فى غلالة الشفقة والعطف:

{ العمال المساكين لا يمتلكون من أدوات الكفاح غير قلوب عامرة بالإيمان بعدالة قضيتهم.} (٣٥)

وكان العمال يمتلكون مايحرج أصحاب الأعمال ورجال الدولة.. ويستخدمون أسلحتهم بنجاح واضح.. بينما الإخوان يسلبونهم تلك القدرات فى دعايتهم..!!!

***

وتنتهى الثلاثينات ووعى العمال بحقوقهم فى إطراد ملحوظ.

وفى الأربعينات بدأت الأفكار الشيوعية تعرف طريقها إلى الحركة العمالية الغاضبة، وإنجذب إليها العمال النشطين .. مما شكل قلقا بالغا لأصحاب المصانع والحكام.

وبدأ الإخوان بعد ذلك فى ممارسة التواجد فى المناطق العمالية الساخنة بروح حادة تهدف إلى تسكين النضال العمالى المتصاعد،

وفى عام ١٩٤٤ تكونت شعبة للعمال فى مقر الإخوان الرئيسى بوسط العاصمة، وهى شعبة مركزية تهتم بشئون العمال فى عموم القطر المصرى، وذلك بعد أن تصاعدت حدة الإضرابات العمالية فى عموم القطر أيضا:

فى القاهرة- الاسكندرية - المحلة الكبرى - الاسماعيلية وفى مصانع السكر بالحوامدية وأعلنت صحف الجماعة أن :

{ الغرض من إنشاء هذا القسم ليس التدخل فى شئون العمال النقابية، ولا التنافس مع الهيئات العمالية. أو التعرض لهم فى مصانعهم أو شركاتهم.. ولكن حتى تكون دافعا لتمسكهم بتعاليم الدين.. وكان ذلك تعبيرا عن مخاوفهم من تسرب المفاهيم اليسارية إلى هذه الفئة.} (٣٦)

وبرغم هذا الإعلان الحيادى.. إلا أن سلوك الإخوان كان على العكس يحاول التدخل فى الحركة العمالية ويحاول أن يجرف مسارها إلى إتجاه آخر.

وتمادى الإخوان فى الهجوم على قادة إتحاد عمال الغزل الميكانيكى وخصوصا الهجوم على محمد يوسف المدرك زعيم الإضراب عن الطعام ورئيس الإتحاد العام، والهجوم على محمود العسكرى سكرتير الإتحاد ، أما طه سعد عثمان فقد تأخر خروجه من الجماعة حتى نهاية عام ١٩٤٣، وهو يذكر أسباب مفارقته للجماعة وعدائه لها على إثر إكتشاف حقيقة دور الإخوان فى المنطقة ومحاولتهم تخريب الإضرابات والنقابة فيذكر أنه :

{ بعد نحو شهرين من حل النقابة العامة، وبعد أن ثبت فشل كل ماأرادت تحقيقه الجهات المعادية للعمال من وراء حل النقابة بمافيها مصلحة العمل وأصحاب الأعمال وأجهزة الحكومة المختلفة، وبعد أن قبضت لجنة المندوبين العامة على زمام القيادة العمالية فى المنطقة بشكل جعل حركة العمال الكفاحية تستمر بنفس الدرجة التى كانت عليها قبل حل النقابة بل وتطورت إلى الأمام، عند ذلك قام عمال النسيج من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين بالدعوة لتكوين نقابة خاصة بمنطقة شبرا الخيمة وقيل يومها أن ذلك تنفيذا لقرار صدر إليهم من المركز العام للجماعة بالقاهرة، وقدمت إليهم مصلحة العمل بمساعدة مفتشيها كل التسهيلات لإستكمال أوراق

وإجراءات تسجيل تلك النقابة. وكان الهدف من ذلك هو طعن العمال ونقابتهم من الخلف، وبالفعل كان تكوين النقابة الإخوانية ضمن الأسباب التى أدت إلى إثبات قرار حل النقابة العامة. ولابد هنا من أن أذكر بتأكيد من واقع معايشتى أن كثيرين من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين فى شبرا الخيمة قد تركوا عضوية الجماعة رغم تدينهم بعد عدة أحداث بدأت بالإصرار على تكوين النقابة الإخوانية رغم وضوح ضررها، ثم إشتراك عدد من أعضاء الجماعة وإن كان يعد على أصابع اليد الواحدة فى إرشاد مخبرى البوليس السياسى على أماكن إختفاء بعض مندوبى العمال والمساهمة فى القبض عليهم.

وأخيرا كان تكوين الإخوان للجنة القومية فى مواجهة اللجنة الوطنية للعمال والطلبة مع مافى ذلك من أضرار بالقضية الوطنية، كل ذلك وغيره أدى كما قلت إلى خروج عدد كبير من المتدينين المسلمين فى شبرا الخيمة من جماعة الإخوان المسلمين.] (٣٧)

وأصبح موقف الإخوان المعادى للحركة العمالية لايخفى على أحد، خصوصا بعد إضراب يونيو١٩٤٦ الذى اشترك فيه حوالى ١٥ ألف عامل بقيادة إتحاد عمال الغزل الميكانيكى وقادته من طليعة العمال فى تحد واضح للأحكام العرفية والحكومة ورأس المال، وراح إسماعيل صدقى رئيس الوزراء يبحث عن طريقة لإجهاض الإضراب، فاتصل بحامد العبد وكيل مصلحة العمل يطلب منه سرعة التصرف - مع العلم أن رئيس مصلحة العمل كان المستر"جريفز" رجل الأمن البريطانى - واتصل العبد بدوره بمحمد شريف مسئول قسم العمال فى جماعة الإخوان، وطلب منه إستخدام نفوذ

الإخوان لتخريب الأضراب. فما كان من الإخوان إلا أن نشروا تقريرا يقول أن مفوضى العمال أعلنوا عن عزمهم كسر الإضراب والعودة إلى العمل، ولم يكن هذا العمل صحيحا مما أحدث بعض البلبلة فى صفوف العمال، ثم دعا الإخوان لعودة العمال إلى مصانعهم وأعمالهم فى الحال، وطالبوهم بأن يوقعوا على عريضة كسر الإضراب التى أعدها ملاك المصانع.

وراحت دعايتهم وجرائدهم تطارد قادة العمال وتطلق عليهم إسم محترفى الشغب والعناصر الهدامة والمخربين. ورفض معظم العمال التوقيع على عريضة كسر الإضراب . وقام بعض أعضاء جماعة الإخوان بالتعدى على العمال بالقوة، ويقول طه سعد عثمان:

{بعد فشل اسماعيل صدقى عدو الشعب رقم واحد ورئيس الوزراء وقتئذ فى إحتواء اللجنة أو ضربها من الداخل، لجأ إلى تكوين هيئة موحدة للجنة الوطنية مستعينا بجماعة الإخوان المسلمين وبعض الهيئات التى صدقت ما أعلنه" صدقى" عن تخليه عن ماضيه السياسى القديم واستعداده لفتح صفحة جديدة يتبنى فيها قضية الشعب الوطنية فكان أن نجح فى تكوين ما أسموه" اللجنة القومية العامة".

وهنا تجب الإشارة إلى أن جماعة الإخوان المسلمين ممثلة فى مرشدها العام المرحوم الشيخ" حسن البنا" ، كانت قد أصدرت بيانا إنتهى بمطالب وطنية وسلمه وكيل الجماعة " أحمد السكرى" إلى مكتب رئيس الوزراء، ولكننا وجدنا الإخوان المسلمين وبعد ثلاثة أيام فقط من إصدار هذا البيان الوطنى يقفون عمليا موقفا معاكسا لهذا البيان ومتخليا عما تضمنه ومؤيدا لاسماعيل صدقى رئيس الوزراء. بل إن اللجنة القومية التى كان الهدف

الأول من تكوينها هو تفتيت القوى الوطنية وايجاد الصدام بينها بدلا من تجميع كل القوى لمواجهة الإحتلال، هذه اللجنة القومية العامة قد تكونت وعقدت اجتماعها وباشرت نشاطها من دار جماعة الإخوان المسلمين.

واتضح موقف جماعة الإخوان المسلمين أكثر بعد أن نادت بعدم القيام بالمظاهرة الصامتة فى يوم الشهداء ٤ مارس ١٩٤٦ ولكنها مالبثت أن أعلنت بأن اللجنة القومية قد أدت مهمتها وأن الإخوان لم يعودوا يرتبطون بأية هيئة ولا علاقة لهم بأى بيان يصدر باسمها.} (٣٨)

ومنذ ذلك التاريخ إنتهى أى وهم فى تضامن الإخوان مع حركة الطبقة العاملة وأى وهم فى إمكانية دفاعها عن مصالح العمال.

وصدرت عدة بيانات عمالية تفضح هذا الدور الإخوانى ومنها بيان مؤتمر نقابات القطاع الخاص الذى أعلن فى وضوح:-

{ اليوم أصبحت نية جماعة الإخوان المسلمين واضحة أمام الشعب وهى تنادى بالفتنة الطائفية وتهدف إلى إنقسام صفوف الشعب من أجل الامبريالية ومن أجل النضال ضد لجنة الطلاب العامة التنفيذية وذلك باستعمال العصى والوسائل الفاشية ضد عمال شبرا الخيمة.

ونظرا لهذا يعلن مؤتمر نقابات القطاع الخاص إدانة هذا الاعتداء ضد الطلاب والعمال الوطنيين الجادين ويعلن مؤتمر نقابات القطاع الخاص أن هذا المؤتمر ومنظمات عمالية أخرى فى كل البلاد تدعم اللجنة الوطنية للعمال والطلبة وتحذر الزملاء العمال من الاندماج فى أى لجنة شكلت من جانب الإخوان المسلمين.

والعامل الذى إنضم إلى أى لجنة من لجانهم لايمثل إلا نفسه..} (٣٩)

وبالفعل كان الإخوان يعملون بأيديهم وأسنانهم لاجتذاب قيادات عمالية جديدة بدلا من هؤلاء الذين فارقوهم إلى الأبد. فحاولوا تجنيد" أحمد الشناوى" عضو اللجنة النقابية بأحد مصانع الغزل والنسيج لكنه رفض الإنضمام إليهم، ووسع دائرة التشهير بهم، فصدر على إثر ذلك قرار بفصله من العمل. مما شكل مفاجأة له وللعمال المحيطين به.

وحدثت حركة تضامن واسعة مع هذا القائد النقابى، وامتنع زملاؤه عن العمل واحتلوا المصنع مطالبين بعودته. ووعدت الإدارة بأنها ستلبى مطالبهم . وظهر فى الصورة" حامد العبد" وكيل مصلحة العمل الحكومية المشبوهة، ووعد هو الآخر بأن الشناوى سيعود .. لكن مر ستون يوما والشناوى لايزال خارج عمله. وألقى هذا الحادث ظلا أسود على إسم الإخوان المسلمين فى مصانع الغزل والنسيج، بالإضافة إلى الظلال القاتمة الأخرى التى حدثت نتيجة تورطهم مع صدقى فى محاولة إجهاض إضراب العمال ومحاربة إتحاد نقابات الغزل الميكانيكى، وماترتب على ذلك من طرد القادة والقبض عليهم ونفى الكثير منهم إلى قراهم البعيدة.

والملاحظة الأساسية لفهم الأوضاع العمالية فى تلك الفترة هى استخدام الآلاف من العمال أثناء الحرب العالمية الثانية، وحدث نتيجة هذا الاستخدام المشجع نزوح آلاف المزارعين المعدمين إلى المدن..{ كانت الورش والمرافق التابعة لجيش الحلفاء تستخدم أكثر من ٢٠٠ر٠٠٠ عامل مصرى، من بينهم حوالى١٠ر٠٠٠ من الكتبة وحوالى ٨٠ر٠٠٠ من العمال المهرة وأشباه المهرة...} [٤٠]

وبعد إنتهاء الحرب استغنت تلك الورش عن العمال، مما أدى إلى حدوث

بطالة (قدرت بمايزيد على ٢٥٠٫٠٠٠ عامل وإلى المزيد من الإفقار.) بالإضافة إلى إفلاس بعض الصناعات الأهلية واستمرار ارتفاع معدل الأسعار وخفض الأجور مع استمرار تفاقم الأزمة الوطنية العامة ووجود الاحتلال البريطانى.

كل هذه العوامل ساعدت على انتعاش جماعات سياسية جديدة.. فانتعشت الأفكار الاشتراكية فى أوساط العمال والطلاب وجن جنون الرأسماليين من هذا التلاقى .

واستخدموا كل الوسائل فى الهجوم على الطرفين.. وربما ضخمت شدة هجومهم من حجم الحركة الفعلية للمنظمة الشيوعية الموجودة آنذاك.. فصورتها وكأنها مارد يستعد للإنقضاض على الحكم.. وكان الأمرأقل مما صورت لهم أوهامهم ومخاوفهم وارتعاد مفاصلهم.

وأدت شدة الإحساس بالخطر إلى زيادة تقديم المساعدات لجماعة الإخوان وفتح كل أبواب التسهيلات لهم، ومنحهم ترخيص إصدار جريدة يومية تلاحق الحركة العمالية، وتصب نار الهجوم على الأفكار الشيوعية ابتداء من مايو١٩٤٦ عقب المظاهرات العمالية للطلاب الضخمة فى فبراير ومارس ١٩٤٦، ومنحهم امتيازات فى شراء ورق الطباعة بالأسعار الرسمية - وكأنهم جريدة حكومية صرفة- مما يعنى توفير من ٢٠ إلى ٣٠ بالمئة من أسعار السوق السوداء، وامتيازات مخصصة للجوالة ، واستخدام الزى القومى الذى يتم شراؤه بسعر مخفض، واستخدام المعسكرات والتسهيلات الحكومية، ومنحها قطعا من الأرض لإقامة المبانى اللازمة فى المناطق الريفية.} [٤٢]

وربما نقرأ صورة خوف حكومات الأقلية من الحركة العمالية واحتمال اقترانها بالأفكار الاشتراكية من خلال حوار اسماعيل صدقى مع مفاوضيه الإنجليز عقب الحرب العالمية الثانية حيث يقول لهم:-

{ أنتم لاتدركون تماما - على مايظهر لى- الوضع السياسى فى البلاد، وكيف يتأثر تأثرا خطيرا بالتصميم على أوضاع هى مهما صورتموها وحاولتم صبغها بصبغة تظنونها مقبولة، فهى الاحتلال بعينه، بل الاحتلال الذى لا لازوم له، إن البلاد فى حالة غليان فكرى، وإذا كان هذا الغليان لم ينتقل بعد إلى حالة من العنف فالفضل فى ذلك للإجراءات والتدابير التى تقوم بها الحكومة. نعم إن بالبلاد هيئات متعددة متنوعة وكلها فى حالة تحفز، ومن هذه الهيئات ماهو سياسى ، ومنها ماهو لطوائف صاخبة كالطلبة والعمال، ومنها هيئات متعددة اشتراكية واجتماعية من أولئك الراغبين فى تحسين أحوال الطوائف الفقيرة ومنها الهيئات السرية للشيوعيين وغير الشيوعيين كل هذا ينذر بانفجار إذا لم تجب مطالب البلاد.} (٤٣)

وهكذا نرى أن مجرد إمكانية التلاقى بين الحركة العمالية والأفكار الاشتراكية تثير فزع الرأسمالية وتدفعها إلى البحث فى جرابها عن مضاد جماهيرى لهذه الصحوة العمالية ذات الوعى المتقدم.. وبعد كل التسهيلات التى حصل عليها الإخوان نتيجة تلك الظروف.. هل نجحوا فى التغلغل وسط الطبقة العاملة وتسكين تمردها..؟

روشتة الإخوان لإنقاذ الرأسمالية

احتفظ الإخوان بصداقات وثيقة مع عتاة الرأسماليين القابضين على مراكز رؤوس الأموال والمشغلين لجيوش العمال .

احتفظوا بصداقة "على ماهر" الذى كان عضوا فى مجالس إدارات شركات أجنبية كثيرة، ومدير البنك الأهلى.

واحمد ماهر رئيس الوزراء ورئيس الديوان الملكى، وصالح حرب ومحمد سالم الصناعى الكبير، ومحمد على علوبة باشا، وعلى إسلام باشا ومحمد محمود باشا واسماعيل صدقى.

وهذا الأخير الذى قدم أكبر المساعدات لهم كان عضوا فى مجلس إدارة شركة قناة السويس، ومجلس إدارة بنك مصر وشركة كوم امبو وشركة الغزل والنسيج فى الاسكندرية، ورئيس مجلس إدارة شركة المعادن المصرية، وهو مؤسس إتحاد الصناعات أو إتحاد الرأسماليين وكان (يضم عند تأسيسه نحو تسعين عضوا من أصحاب الأعمال الوطنيين والأجانب يشتغلون برؤوس أموال تقدر بأكثر من أربعين مليون جنيه مصرى وقد عرف عن هذا الاتحاد مقاومته الشديدة لصدور تشريع عمالى مصرى .) (٤٤)

هذا الرجل الذى كان يعد- رأس الرمح للرأسمالية المصرية المتجهمه- والعضو فى مجلس إدارة عشرين مشروعا صناعيا. تولى رئاسة الوزراء عدة مرات وفى مايو١٩٤٥ بعد توليه الوزارة من جديد، وضع الشعب يده على قلبه - ترى ماذا سيفقد من حريات ، وماذا سيفرض عليه من قوانين

متجهمه جديدة..؟

وحاول صدقى فى البداية أن يبذر الوعود، فأعلن فى خطاب له أمام ممثلو العمال:

{إن صدقى الجديد غير صدقى القديم.}

لكن أحدا لم يصدق هذا الوجه الجديد المغسول بصابون" نابلسى شاهين" والمطل عليهم كل صباح للإعلان عن هذا الصابون فى الصفحات الأولى للجرائد مع فتيات الإعلانات{ كانت صور صدقى تنشر فى ذلك الحين للإعلان عن هذا المنتج الجديد.}

وربما يجعل هذا الصابون وجه صدقى أكثر نعومة، ولكنه لايزيل ماعلق به من آثار التاريخ الأسود.

ولم يصدق العمال وجهه الجديد ولانبرته المفتعلة، وواصلوا مظاهراتهم التى اشترك فيها حوالى خمسة عشر ألفا من عمال النسيج بمصانع شبرا الخيمة والسكك الحديدية وورش ابى زعبل، والتحموا بمظاهرات الطلاب، فاستخدم صدقى" الجديد" صدقى اللامع. ذو الرائحة القوية.. لغة الرصاص وسقط ٢٣ شهيدا و١٢١جريحا من العمال والطلبة فى ٢١فبراير١٩٤٦. كان العمال يهتفون ضد صدقى عدو الشعب أو صدقى" بيفن"، بينما كان الإخوان المسلمون يهتفون له:

{وأذكر فى الكتاب اسماعيل إنه كان صديقا.}...!!!المزيد من التفاصيل انظر الإخوان المسلمون :ريتشارد ميشيل}.

مفارقة واضحة لايوازيها إلا الروح التى تتحدث بها صحيفة الإخوان عن حال الطبقة العاملة.. فبينما كان العمال يخوضون نضالات اضرابية ضخمة

تصمد لمدة ١٩ يوما وتضم كافة مصانع النسيج فى منطقة شبرا الخيمة، بمايعنيه استمرار الإضراب من ارتفاع درجة وعى العمال بأنفسهم كجسم واحد يقاوم أساليب العنف الكومى، ويؤثر فى المراكز العمالية الأخرى.

كما حدث حينما إمتدت موجة الاضرابات من شبرا الخيمة إلى المحلة الكبرى والغزل الأهلية بكرموز الاسكندرية فى يونيو١٩٤٦، وغيرها من الأحداث التى دفعت بوضع الطبقة العاملة إلى مقدمة الصراع، وكثر الجدل حول مطالبها الاقتصادية وتحسين شروط العمل، ومطالبها السياسية فى الاستقلال الوطنى ، وتكوين حزب يعبر عنها بعيدا عن سطوة القوى السياسية الأخرى.

وأمام هذا الفيض من المقاومة العمالية نجد صحف الإخوان تقف على الجانب النقيض منها حتى حينما خصصوا بابا فى جريدتهم اليومية لمناقشة القضايا العمالية والتعليق على الأحداث مرة بالنصح لأصحاب الأعمال، ومرة بالتنهيد وإثارة الشفقة والعطف على أحوال العمال المساكين..

وفى ثنايا ذلك العطف الظاهرى. كان الإخوان يهاجمون أساليب العمال وأسلحتهم، ويحاولون عن طريق عرض الحجج الزائفة والمنطق الممالئ لرأس المال. تحريم كل شئ على العمال باسم الدين :-

- الاضراب عن العمل حرام.
- الاضراب عن الطعام حرام.
- الاعتصام حرام.
- التظاهر العمالى ضد أصحاب المصانع حرام.
- التفاوض الجماعى غير مستحب.

- عقد العمل الجماعى مكروه.
- صاحب العمل هو الذى يحدد الخبر.
- طاعة أولى الأمر واجبة.

إلى غير ذلك من الأحكام والفتاوى التى سنعرض لها لاحقا بشئ من التفصيل.

أن جريدة الإخوان المسلمين على كثرة ماعرضت للمشاكل العمالية المتفرقة والمناشدات التى وجهتها لوزارة الشئون الاجتماعية ومصلحة العمل للنظر بعين العطف إلى العمال المساكين، ونشر نصوص صندوق الإعانات كانت فى كل ذلك مناوئة لروح التضامن العمالى، والخبرات النضالية المكتسبة فى مقاومة ملاك المصانع.

وحينما حدثت إضرابات المحلة الكبرى عام ١٩٤٧، وفشلت قوات البوليس فى محاصرتها وتسكينها، وتولى الأمر قوة من الجيش.. كانت النتيجة مقتل ثلاثة عمال وجرح تسعة عشر واعتقال سبعة وعشرين منهم.. كتبت جريدة الإخوان تردد حجج الجانب المعادى للعمال وتؤكد وعود المسئولين الزائفة:-

{عقد اجتماع بمكتب الأستاذ عبد الرحمن عمار بك مدير الأمن العام شهده حضرة مدير مصلحة العمل، ودار البحث فيه حول موضوع التوفيق بين شركة مصر للغزل والنسيج بالمحلة الكبرى وبين عمالها المضربين، وذلك لإتخاذ مايلزم من الإجراءات الخاصة بعودة العمال إلى أعمالهم فى المصانع.}[٤٥]

وجميعنا يعلم أى نوع من الاجتماعات هذا الذى يتم فى مكتب مدير

الأمن العام، وأى لغة تلك التى يتحدثون بها إلى العمال بينما يعرضها الإخوان وكأنها حل للمشاكل العمالية ولا تكتفى جريدة الإخوان بذلك، بل تواصل إثارة الشكوك حول حركة العمال فى المحلة، وفى شبرا الخيمة أيضا:

{كانت - يقصد المذكرة التى قدمتها النقابة لإدارة الشركة - كفيلة بإرضاء العمال لولا تدخل ذوى الأغراض السيئة الذين صوروها لهم تصويرا خاطئا.

وأوضح أن موضوع الاستغناء عن بعض العمال لم يكن سوى أن ظروف العمل إقتضت تنظيم إلغاء وظائف وإحالة شاغليها إلى وظائف أخرى فى المصانع المختلفة.}(٤٦)

ويتمادى الإخوان فى استخدام أسلوب الوقيعة بين العمال بعضهم وبعض بإثارة الشكوك التقليدية والمكشوفة للجميع:

{يجب أن ننبه العمال أنفسهم إلى وجود طابور خامس يندس بينهم لينشر ويروج إشاعات السوء.}(٤٧)

لكن أسباب إضراب عمال المحلة لم تكن الإشاعات، بل كانت تراكم الأوضاع السيئة والظلم الفادح الواقع عليهم من الجزاءات والنقل والفصل التعسفى.

ومن المضحك أن نجد بعد تلك الأحداث الملتهبة والنشاط العمالى الدامى تقريرا لأحد موظفى " جماعة شباب محمد" المنشقة عن الإخوان يدعى فيه أن وجودهم هو الذى أدى إلى {إضعاف الحركة الشيوعية المتغلغلة بين صفوف العمال فى المحلة الكبرى إلى حد كبير، كما أدى إلى وقف موجة السخط التى تسببت منها أضرار بالغة لهذا المصنع الوطنى.} (٤٨)

وإذا سلمنا بصحة هذا الإدعاء الفاضح الذى كشفته أحداث الإضراب السابق.. وسلمنا بنفوذ جماعة شباب محمد الساحق فى المحلة الكبرى. فهل يكون دورهم فى وقف موجة السخط العمالى داعيا إلى التفاخر مثلهم فى ذلك مثل قوات الأمن التى أوقفت موجة السخط على جثثت العمال..!!!!

***

إدعاء الإنتشار لايخفى العزلة

فى الوقت الذى كان العمال ينصرفون فيه عن دعوة الإخوان ، وينخرطون فى مجرى النضال النقابى بحمية وحماس، راح الإخوان يفجرون بعض قنابل الدخان فى الهواء حتى لا تنكشف عزلتهم.. فنشروا الكثير من المقالات التى تقدمهم للرأى العام فى صورة مبالغ فيها وكأن جحافل العمال تزحف على مقراتهم:

{هاهم عمال النسيج بشبرا الخيمة يلتفون حولها- يقصدون حول دعوة الإخوان- وقد رأوا فى الإسلام الذى ندعو إليه خلاصهم ورسالتهم المباركة، وكونوا من بينهم لجانا فى كل مصنع، ثم كونوا لجنة عليا لمندوبى المصانع، وكذلك ألف عمال الأحذية من بينهم لجنة تنفيذية عليا. أما فى محيط عمال المطاعم" الطباخين والسفرجية" فيسرنا أن نذكر أن الكثيرين منهم من الإخوان.} (٤٩)

إن جميع الأحداث العمالية تكذب إدعاء الإخوان وخصوصا أحداث شبرا الخيمة والمحلة الكبرى ، ولجان المصانع التى يتحدثون عنها كانت فى الحقيقة لجانا مصطنعة لضرب إتحاد الغزل الميكانيكى كما يذكر طه سعد عثمان. لقد كانت حركتهم فى العموم فى خط مفارق لحركة العمال الجماهيرية والجاذبة للنهر العام للعمال، أما الشراذم القليلة وغير المؤثرة والمتدنية الوعى فقد نظمها الإخوان فى فرق كأسرى الإضراب التابعة لهم.

وبعد ذلك يدعون أن مصانع بأسرها قد صارت إخوانية..!!!

وإذا توخينا الحقيقة فسنجد أن هناك مصانع كثيرة قد صارت إخوانية بالفعل، بمعنى أنها مصانع مملوكة للإخوان المسلمين. يلعبون فيها دور صاحب العمل.. الرأسمالى الذى يتحكم فى قوانين العمل ويستأجر العمال ليديروا له آلاته ويدروا عليه الربح بنفس القوانين التى كان العمال يرفضونها فى نضالهم الاجتماعى الواسع.

نفس القوانين الرأسمالية يطبقها الإخوان المسلمون فى المشروعات التى امتلكوها دون أى فارق سوى فى اليافطة الإسلامية .. ومن أهم هذه المشروعات:

- شركة الإخوان للصحافة ورأسمالها ٥٠ر٠٠٠جنيه
- شركة الإخوان للطباعة ورأسمالها ٧٠ر٠٠٠جنيه
- شركة الإعلانات العربية ويقال أن رأسمالها قد بلغ ١٠٠ر٠٠٠ جنيه
- شركة المعاملات الإسلامية وقد بلغ رأسمالها عام ١٩٤٦ ٣٠ر٠٠٠ جنيه.

وفى قول آخر بلغ رأسمال شركة المعاملات عام٤٦ خمسين ألفا من الجنيهات موزعة على ١٢٥٠٠سهم ولها مؤسسات صناعية.

- الشركة العربية للمناجم والمحاجر ورأسمالها ٦٠ر٠٠٠ جنيه
- شركة الإخوان المسلمين للغزل ورأسمالها ٨ر٠٠٠ جنيه

(كان يعمل بها حوالى ٦٠ عاملا على أربعة عشر نولا.. وكان هذا المصنع من أصغر مصانغ منطقة شبرا الخيمة وتوقف إنتاجه مبكرا فى عام ١٩٤٩م.

- شركة التجارة والأشغال الهندسية ورأسمالها ١٤ر٠٠٠ جنيه

-شركة التوكيلات التجارية بالسويس (لم نصل إلى رقم رأسمالها)
-شركة مزرعة العركى (وكانت تمتلك ٨٠٠ فدان).} [٥٠]

بالإضافة إلى عدد كبير من المصانع الصغيرة أو الورش التى كان يفتتحها الإخوان كأساس لعملهم فى الشعب المختلفة.

وليست هناك مادة كافية تطلعنا على حقيقة هذه المشروعات وعدد العمالة فيها وماتحقق منها وماظل على الورق، اللهم إلا مصنع الغزل الذى يدعى "محمد شريف" أنه حقق نجاحا كبيرا، وحقق ١٥٪ من تكلفته فى الفترة من مايو ١٩٤٦ وحتى يوليو ١٩٤٨، وأبلغ تعليق على النجاح المنقطع النظير لهذا المصنع أنه أغلق أبوابه وتوقف عن العمل كليا عام ١٩٤٩.

أما المصانع الأخرى فلم نسمع شيئا عن إنتاجها إلا فى حالات استثنائية قليلة حينما ظلت مجلة الإخوان تنشر إعلانا عن{عدة وابور جاز الإخوان المسلمين} وتدعو الجمهور إلى استعمالها لإنها{ الشعلة التى تضئ الكون}.

أما الإعلانات الأخرى التى امتلأت بها صحافتهم فكانت لمؤسسات رأسمالية عتيدة منها ماهو ملك للأجانب، وماهو ملك للمصريين دون تفرقة مثل إعلانات شركة " سباهى" وإعلانات المحلات التجارية المختلفة.

كرباج الأخلاق الإخوانى فى يد الرأسمالية

فى زى الوعاظ وحماة قشرة الأخلاق يظهر الإخوان دائما.. ولايشتد جعيرهم للمطالبة بحسن السير والسلوك، وفرض الأحكام الصارمة على تفاصيل الحياة اليومية البسيطة إلا فى أوقات طفو القلق الاجتماعى على السطح.

وفى فترة الأربعينات التى شهدت زخما من الأحداث والمطالب والمظاهرات والإضرابات العمالية، راح الإخوان يصرخون على صفحات جرائدهم :- الأخلاق.. الأخلاق.

ويصورون العمال وكأنهم يهتكون الأخلاق الحميدة وينشرون الرذيلة والفساد فى المجتمع.. وكان هذا الحديث أحسن خدمة لرأسمالية لا تعرف كيف تواجه عمالها المنتفضين والمسلحين بأسلحة التضامن والوحدة وقوة اليد فى اليد.

كان حديث الإخوان يشق مجرى مختلف للصراع ويعطى للرأسمالية فرصة ذهبية لترتدى هى الأخرى مسوح الأخلاق وتحوله إلى كرباج على ظهر من لايتثل لأوامرها.

نفس أصحاب المصانع، هؤلاء الذين يغرقون فى الملذات الوضيعة فيمارسون الغش والعهر والكذب وأنانية الإمتلاك وغطرسة التحكم فى قوت البشر.. هؤلاء الذين يتقاتلون ويسرق بعضهم بعضا، ويتحايلون بكل الطرق للحصول على فلوس زائدة تملأ خزائنهم ولاتسد سعارهم إلى المال.

هؤلاء الرأسماليون هم الذين راح الإخوان المسلمون يشكون إليهم أخلاق العمال الرازحين فى بؤسهم، تجمعهم المساكن الفقيرة على مودة لايعرفها سوى الفقراء.. وتضامن لايعرفه سوى المقهورين، فقد كان { عمال شبرا الخيمة يضربون عن العمل وضمن أسباب اضرابهم المطالبة بعودة زملائهم الذين أبعدوا. } (٥١)

وبدلا من أن يرى الإخوان أخلاق التضامن وماتجسده من نبل المشاعر والسلوك، فإنهم يحرضون الجميع ضدهم، ويناشدون المجتمع لتقويمهم.

وطبعا كان أصحاب الأعمال والحكومة وكل أجهزة الدولة لا تعدم وسائل التأديب المادى والمعنوى ضد هؤلاء العمال الذين يتفق الإخوان مع الرأسمالية فى تسميتهم بالمشاغبين.

ولقد بالغ الإخوان فى الكتابة العدوانية وإستخدام أساليب التضليل غير الأمينة والكذب الفج:

{ تلك كلمة موجزة نتوجه بها إلى أصحاب المؤسسات الصناعية فى منطقة شبرا الخيمة وقليوب ونهمس بها فى آذان المسئولين من أصحاب مصانع نيومان وكليبر وناشان وداود عدس وشركة النيل وشركة الصوف إلخ..

ونرفعها إلى أولى الأمر فى وزارة الشئون الاجتماعية فإن من صميم واجباتهم صيانة النفوس من التلوث والفساد. فى تلك المؤسسات استهتار فاضح بالأخلاق والشرف وهناك إتصال يفرضه العمال بين الفتيات والعمال.

وإذا رأيت ثم رأيت فتيات متهتكات يلبسن " الشورت" ويصبغن وجوههن بالمساحيق ويزاملن الشبان وهن بهذا المنظر الفاضح فى العمل.

فأنت توقن أن الشيطان يبيض ويفرخ فى تلك الأوكار وتعبث الشهوات بالعقول . وهذا وصف الحال التى تشكو منها تلك المنطقة وقد بلغ الإستهتار بالآداب العامة حدا جعل أولئك الفتيات يخرجن مع زملائهن فى الطرقات ضاحكات صاخبات عابثات يتفوهن بالألفاظ الماجنة ويظهرن بخلاعة مبتذلة.. حتى فى السيارات التى تنقل خليطهم من ميدان ابراهيم باشا إلى مقر عملهم أو تعود بهم إلى منازلهم يسمع ويشاهد ماتتأذى منه الفضيلة والأخلاق. ونحن نكتفى بهذا القدر حتى نرى تصرف المسئولين "ش".}[٥٢]

أرأيتم أى لغة عدوانية يستخدمها الإخوان ضد العمال والعاملات فى هذا الوقت الذى قدموا فيه نموذجا باهرا للتضامن والوحدة، حينما كانت العاملات يشتركن بمنتهى القوة والحزم فى الإضراب مع رفاقهم الرجال.. ويرفضن إستخدامهن كبديل عن العمال فى تشغيل الآلات. ويكفى أن نسترجع الصور التى قدمها" طه سعد عثمان" عفوا ضمن ذكرياته عن عاملات النسيج فى شبرا الخيمة، لنعرف أى كذب وإفتراء يقدمه الإخوان للجمهور الذى يصدق لعبة {حماة الأخلاق}.

{كان عدد العاملات فى المصانع قليل جدا، فمثلا مصنع سباهى بشبرا الخيمة وهو الذى كنت أعمل به ، كان به عاملة واحدة من بين خمسمائة عامل يضمهم المصنع، وكانت تحضر إلى المصنع بلبس بنات البلد- الملاية اللف والجلباب الطويل- ولاشك أن التقاليد المصرية وخاصة الريفية فى تلك الفترة كانت هى المسيطرة والسبب فى ذلك الوضع، ولكن بعد قيام الحرب العالمية الثانية وما أحدثته من متغيرات إنعكس على وضع الفتاة المصرية، فأقبلت نصف المتعلمات أولا ثم الأميات على العمل فى المصانع، وقد بذل

أصحاب المصانع جهدا فى سبيل إدخال العاملة خط الإنتاج جنبا إلى جنب الرجل، نظرا لما كان يحققه ذلك من توفير له إذ كان يدفع للعاملة أجر أقل من العامل ونسبة كان يصل التخفيض فيها مابين الربع والنصف، ولهذا كانت نقابة عمال النسيج واعية عندما وضعت ضمن مطالبها الأساسية مساواة المرأة بالرجل فى الأجر إذا تساوت ظروف العمل ونوعه، وقد حاول أصحاب الأعمال استغلال تشغيل العاملات بأجر أقل لانتقاص الأجور وفصل العمال وزيادة البطالة ، ومن أشهر الحوادث الجماعية فى هذا الصدد محاولة شركة الجوت المصرية بشبرا البلد تشغيل العاملات على أنوال النسيج بأجور أقل وفصل بعض العمال، الأمر الذى أدى إلى إضراب عام شامل فشلت كل محاولات الحكومة بكل أجهزتها من مصلحة عمل وبوليس فى إفشاله وقبض على محمود العسكرى وحقق معى فيه وانتهى باقرار الشركة بالمساواة فى الأجر، وإذا كانت التقاليد قد منعت عاملات النسيج من المساهمة العملية فى الكفاح من داخل النقابة إلا أنهن قد اشتركن فى الكفاح وكانت منهن مناضلات خضن معارك واشتركن فى الإضرابات ودفعن اشتراك النقابة ولكن التقاليد كما قلت منعت من أن يكون من بينهن عضوة مجلس إدارة فى هذه النقابة حتى حلتها الحكومة فى ٣٠ ابريل١٩٤٥.} (٥٣)

وفرق كبير بين الصورة المغرضة التى رسمها الإخوان، والصورة التى رسمها طه سعد عثمان، ويبدو أن الإخوانى الذى لايجرؤ على التوقيع باسمه، قد كتب مقاله على إثر كابوس رآه فى المنام.. وصورته له أوهامه وميوله الجبانة وكراهيته للعمال والعاملات الفقراء، حتى أنه يتغاضى عن كل مافى حياتهم من بؤس ومن معانى جميلة أيضا، ويستعدى عليهم

الرأسمالية - حامية الرذيلة والفساد فى المجتمع بل وصانعتها- بتلك اللغة الفجة والروح المزيفة.. إنهم يصورون الأمر وكأن العمال قد حولوا المصانع إلى بيوت للدعارة تقطنها بنات " متهتكات" وليس عاملات يذهبن فى عز البرد والحر منذ الصباح وحتى نهاية اليوم، يقفن خلف الآلات ولاتستطيع الواحدة منهن الإلتفات خوفا من جزاء رئيس العنبر وعقاب الإدارة وشبح الطرد الذى يهددها دائما.

وحملة الإخوان الأخلاقية لاتنتهى لإنها سلاحهم الذى يغازلون به جمهورهم المحافظ بل تتسع دائرتها لتشمل الهجوم على أخلاق العمال من الجنسيين:

{ إن خطبا أدهى من ذلك يلم بطبقة العمال هو إنحلال الأخلاق. هو تدهور النفوس ، هو الفوضى الإباحية.} (٥٤)

أى إباحية التى يتهمون العمال بها.. يبدو أن مسلسل الافتراء لاينتهى. ولكن إذا كانت أخلاق الطبقة العاملة برجالها ونسائها لاتعجب الإخوان فما هو النموذج البديل الذى يقدمونه للأخلاق الحسنة..؟

الإخوان يدافعون عن أخلاق الحلول الفردية بدلا من أخلاق التضامن الجماعى، ينشرون الرسائل الفردية ويقدمون الحلول الجزئية، ويمدحون أخلاق الطاعة المطلقة للمديرين، والتزلف لهم، فتقدم مجلة الإخوان عمال مصبغة شركة مصر لنسج الحرير بحلوان كمثل طيب على المعاملة الحسنة بين الرأسماليين والعمال، من خلال صورة لعمدة القسم الناشئ- قسم الإخوان- فى المنطقة وهو يقدم إلى { اللوزى بك مدير عام الشركة نسخة من كتاب الله}. (٥٥)

وهذه المصالحة الشكلية بين العمال وأصحاب الأعمال أو المديرين لاتقوم على أي أساس موضوعى، فلاحديث عن حقوق مكتسبة للعمال فى هذا الموقع، فقط صورة دعائية للطاعة والتملق تغطى علاقة المرؤوس المستكين للأمر الواقع برؤسائه مهما كانوا ظالمين.

ولقد أفاضت أقسام العمال فى فبراير١٩٤٦ فى إقامة {صلوات متتالية يقوم بها مندوبو القسم فى مناطق المدابغ وعمال الجيش بالعباسية.} (٥٦)

وإذا قارنا تلك الصورة الدعائية بمجمل حال الطبقة العاملة فى ذلك الوقت، فسنجد أن الموقف كان متفجرا فى المصانع والجامعة والميادين التى شهدت مظاهرات ضخمة قادتها اللجنة الوطنية للعمال والطلبة، التى خانها الإخوان وقطعوا كل صلة لهم بلجانها وطردتهم من دارها.

{ولم يكتف الإخوان المسلمون بهذا، ولكنهم انزعجوا بقدر انزعاج الحكومة عندما رأوا أن الشباب الوطنى الذى إنخدع فى البداية بهم لن يقبل أن يطعن الحركة الوطنية من الخلف، فسارع مكتب الإرشاد العام بإعلان طلاقه البائن لكل عمل مع أية جماعة أو هيئة.} (٥٧)

وكما هو واضح ، فإن إنحلال العمال الأخلاقى الذى يكثرون من الحديث عنه ويحرضون به الطبقات الأخرى.. كان يتجسد فى رفض العمال لشروط الاستغلال المزرى وعدم إنسحاقهم أمام جبروت رأس المال.

نعم لقد كان العمال يرفضون الرضوخ والطاعة العمياء ، فهم إذن من وجهة نظر الطبقات المالكة متمردين وفى حاجة إلى قمع سريع، وهم من وجهة نظر الإخوان منحلين أخلاقيا وفى حاجة إلى قمع سريع.. وطبعا فإن سياسة الردع والتقويم التى كانت الرأسمالية تمارسها بالفعل ضد التمرد

العمالى، لم تكن لتجد أفضل من هذا الغطاء الدعائى المكسو بثياب الدين لتحرك به روح العداء الاجتماعى العام ضد العمال المنتفضين فى شبرا الخيمة والغزل الأهلية بالاسكندرية والمحلة الكبرى وغيرها.

***

وفى عام ١٩٤٧ حينما زادت حدة القلق العمالى راح الإخوان يحرضون المجتمع ضد الطبقة العاملة بنشر صور لمقاهى شعبية تحمل عنوان:

{ مواطن الكسل هذه أغلقوها.} (٥٨)

وأسفل الصورة تعليق غريب يقول:

{هكذا تقضى الطبقة العاملة المنتجة فى الأمة وقتها.} (٥٩)

فكان ذلك إستعداء غريب تنفثه صحف الإخوان ضد العمال، وكأنه لايكفى مايرزح العمال تحته من المصاعب والهموم.

ولشد ماكانت صورة العمال المتكاسلين.. الخاملين.. الذين يحتاجون إلى عصا غليظة لإيقاظهم مغايرة للحقيقة.

وفى ظل موجة التكدير العامة للطبقة العاملة وحياتها كانوا يتدخلون فى تفاصيل العادات اليومية ويطالبون بوضع كل جزئياتها فى ملزمة من حديد لتأديب تلك الطبقة المتمردة. فيستخدمون فن العقاب بحرمانها من عادة شرب الشاى بحجة أن:

{الشاى ينهك قوى الأيدى العاملة ويستنفذ نصف دخل الطبقات الفقيرة:-

اعتادت الطبقات الفقيرة فى السنين الأخيرة عادة خطيرة قاتلة للفلاح تلك هى عادة إدمان الشاى، الذى ينهك قوى الأيدى العاملة فى الحقول

والمصانع، وقد استولى على أفرادها إدمان الشاى إلى درجة أن الواحد منهم ينفق نصف دخله اليومى فى إرضاء شهوة الإدمان بدلا من إنفاقه فى غذائه وغذائه وغذاء أولاه.} (٦٠)

وتصل بهم الرغبة فى تكدير العمال إلى حد المطالبة { برفع الضرائب على الشاى إلى حد استحالة مشتراه لمن ليسوا فى حالة يسر.} (٦١)

وهنا يتضح تحيزهم الواضح فميزان " اليسر" هو العامل الأساسى فى الموضوع حيث تتحول متعة شرب الشاى إلى عادة للموسرين فقط دون غيرهم من الشعب . ولذلك يطالبون { بالتفكير بصفة مستعجلة فى إبتكار العلاج الناجع سواء كان ذلك عن طريق سن التشريع المانع أم عن طريق رفع الضرائب..} ***

وإذا كانت كل التيارات السياسية تطالب - حتى على سبيل الدعاية- بتخفيض الأسعار ورفع الضرائب عن كاهل الشعب ، فهم يتفردون هنا بمطلب رفع الأسعار وزيادة الضرائب لتأديب تلك الطبقة المتمردة وتكدير عيشها.. وربما يستوجب الأمر زرع العيون والجواسيس فى كل البيوت للتأكد من أن العمال يسيرون على الصراط المستقيم ولايمسون مشروب الشاى السقيم.

فأى تكدير هذا الذى يعدونه للطبقة العاملة بدعوى الحفاظ على الأخلاق..!!!

الانهيار العظيم

لم يستمر زمان المصالحة والتعاون بين حلف الإخوان وحكومات الأقلية، وسرعان ماحدث صدام شديد بينهما على إثر اغتيال الإخوان للنقراشي باشا، وإنطلقت وزارة عبد الهادى فى تصفية الإخوان بلا هوادة.

وشهد " حسن البنا" قبل اغتياله إنهيار أركان الجماعة وتقويض دعائمها وإغلاق مقراتها ومصادرة ممتلكاتها.

إنهيار شامل عجل بموت " البنا" معنويا قبل حدوث موته الجسدى، وكما كان" السعديون" كرماء فى مساعدة الإخوان، كانوا أشد كرما فى التنكيل بهم ولم تجدى كل استعطافات " البنا" وتذلله لأجهزة الأمن وإدانته لكوادر جماعته فى وقف موجة التصفية هذه، حيث لم يبعد ابراهيم عبد الهادى رئيس الوزراء الموكل بأمر مسح الإخوان على شئ من أجهزتهم السرية والعلنية فكانت نهاية مأساوية لطموح مبالغ فيه، وتعجل شديد للصعود والسيطرة على مقدرات البلاد.

ويبدو أن الإخوان قد تضخموا خلال عامى٤٦/٤٧ وظنوا أن الحكم قد دنا منهم بما يملكون من سلاح وفرق حسنة التدريب ونفوذ سياسى، وبلغت تصريحات "حسن البنا" حدا بعيدا من الغرور والإحساس بالقوة حينما قال فى مارس ١٩٤٦:

{الإخوان لايسعون للحكم ولكن الحكم هو الذى يسعى إليهمة} (٦٢)

لقد بلغ إحساس التضخم بهم حدا جعلهم يعتقدون أن الحكم قد بات على

شفا خطوة منهم. لكن حسابات الإخوان كانت متسرعة وانقلب تعجلهم عليهم.

***

وحاول الإخوان بعد مذبحة ١٩٤٨ لملمة أطراف وجودهم فإنشغلوا بذلك طوال الفترة من ٤٩ وحتى ١٩٥٢ واستغرقوا فى صراعات داخلية عنيفة بين بقايا الفريق القديم والقادة الجدد.

وكثر الحديث عن علاقة" حسن الهضيبى" المباشرة بالسراى وزيارات الولاء المتتالية التى كان يقوم بها.

***

هوامش الفصل الأول

١- أمين عزل الدين- تاريخ الطبقة العاملة المصرية- دار الغد ص٤١٥.

٢- حسن البنا- مذكرات الدعوة والداعية- دار الإعتصام ص ص١٠٢

٣- حسن البنا- مذكرات الدعوة والداعية - المصدر السابق.

٤- حسن البنا- مذكرات الدعوة والداعية- المصدر السابق.

٥- مجلة النذير- العدد ١٠-٤ ذى القعدة- ١٣٥٧هـ

٦- أمين عزل الدين - تاريخ الطبقة العاملة ص ٤٣٨-٤٣٩.

٧- أمين عز الدين- المصدر السابق ص ٤٤٠.

٨- أمين عزل الدين- المصدر السابق.

٩- أمين عز الدين المصدر السابق.

١٠- مجلة الإخوان المسلمين العدد ١٩- الثلاثاء ٢١جمادى أول سنة ١٣٥٤/ ٢٠ أغسطس١٩٣٥م. السنة الثالثة ص ٣٢.

١١- مجلة الإخوان المسلمون العدد ١٩- المصد السابق.

١٢- مجلة النذير- العدد الخامس والعشرون السنة الأولى الإثنين ٢٢ رمضان ١٣٥٧ هـ ص٢٤. فى محيط الإخوان.

١٣- مجلة النذير العدد ١٦- السنة الأولى الخميس ١٣ رجيب ١٣٥٢هـ.

١٤- مجلة الإخوان المسلمون العدد ١٩-الثلاثاء ١ جمادى الأول/ى سنة ١٣٥٤هـ/ ٢٠ أغسطس ١٩٣٥م.

١٥- ريتشارد ميتشيل - الإخوان المسلمون.

١٦- الإخوان المسلمون الخميس ٢١ صفر١٣٥٢هـ. السنة الأولى العدد١

١٧- مجلة النذير العدد الرابع والعشرون السنة الأولى الإثنين ١٥ رضمان ١٣٥٧هـ.

١٨ طه سعد عثمان- كفاح عمال النسيج.

١٩- أمين عز الدين - تاريخ الطبقة العاملة المصرية. المصدر السابق

٢٠- د.سامى أبو النور- دور القصر فى الحياة السياسية فى مصر ٣٧-١٩٥٢م مكتب مدبولى.

٢١- د. سامى أبو النور- المصدر السابق.

٢٢- ريتشارد ميتشيل- الإخوان المسلمون ص١٤٥.

٢٣- باجرات سيوانيان- الوفد والإخوان المسلمون - ترجمة بشير السباعى- دار آزال للطباعة والنشر بيروت.

٢٤- مقدمة كتاب ريتشارد ميتشيل بقلم صلاح عيسى. المصدر السابق

٢٥- الإخوانرالمسلمون - الجريدة اليومية- قسم تردد غير مرة.

٢٦- لطيفة سالم - فاروق وسقوط الملكية فى مصر.

٢٧- جول بنين- العمال على ضفاف النيل بالانجليزية.

٢٨- الإخوان المسلمون - مجلة اسبوعية - الخميس ٢١صفر١٣٥٢هـ السنة الأولى العدد١.

٢٩ جول بنين - العمال على ضفاف النيل. المصدر السابق.

٣٠ طه سعد عثمان ص ١٩. المصدر السابق

٣١- طه سعد عثمان- المصدر السابق.

٣٢- مجلة النذير/ طبقات مظلومة العمال بين الحكومة وأصحاب الأعمال العدد ٢١- الإثنين جمادى الأول السنة الثانية ص ٤.

٣٣- جول بنين- العمال على ضفاف النين - المصدر السابق.

٣٤- أمين عزالدين - تاريخ الطبقة العاملة ص٠٥٩٠. المصدر السابق

٣٥- مجلة النذير العدد ١٨- الرثنوين غزة جمادى الأول سنة ١٣٥٨هـ السنة الثانية العمال المضربون عن الطعام.

٣٦- النذير/ العدد ٢١/ الإثنين ٢٢جمادى الأول سنة ١٢٠٨ السنة الثانية ص١٤.

٣٧- جول بنين- المصدر السابق.

٣٨- طه سعد عثمان مذكرات ووثائق الطبقة العاملة والعمل السياسى من تاريخ عمال مصر / الكتاب الثالث / الطبقة الأولى مؤسسة العروبة.
٣٩- طه سعد عثمان - المصدر السابق ص١٠
٤٠- جول بنين- المصدر السابق.
٤١- أمين عزل الدين- تاريخ الطبقة العاملة المصرية. المصدر السابق
٤٢- أمين عز الدين- المصدر السابق.
٤٣- ريتشارد ميتشيل- الإخوان المسلمون- المصدر السابق ص ١٣٦.
٤٤- إسماعيل صدقى- مذكرات - دار الهلال.
٤٥- أمين عز الدين - تاريخ الطبقة العاملة المصرية. المصدر السابق
٤٦- الإخوان المسلمون ١٩٤٧/٩/٧ ص٣ حركة العمال فى المحلة الكبرى.
٤٧- الإخوان المسلمون ١٩٤٧/٩/٧م.
٤٨- مجلة النذير- الخميس ٢٠ جمادى الثانى ١٣٦٧ هـ السنة السابعة العدد ١٨٣.
٤٩- الإخوان المسلمون العدد ١٩٤ السنة الراعبة- الثلاثاء ١٥ ربيع الثانى ١٣٦٥هـ/١٩ مارس ١٩٤٦مص ٢٢.
٥٠- رفعت السعيد/ حسن البنا مؤسس حركة الإخوان المسلمين متى .. وكيف ولماذا- دار الطليعة- الطبعة الثالثة ١٩٨٨ ص ١١٩.
بالإضافة إلى معلومات من جول بنين.
٥١- طه سعد عثمان - ص ٥٠ - المصدر السابق.
٥٢- الإخوان المسلمون العدد ٨٦- السبت ١٥ صفر سنة ١٣٦٥هـ السنة الرابعة- ١٩ يناير ١٩٤٦- العدد الخامس.
٥٣- طه سعد عثمان ص ٦٩. المصدر السابق
٥٤- النذير العدد ٢٧ الإثنين ١٣ شوال سنة ١٣٥٧ السنة الأولى ص٢
٥٥- الإخوان المسلمين العدد ١٠٦
٥٦- الإخوان المسلمين العدد ١٠٨- السبت ٢٩ يونيو١٩٤٦- السنة الرابعة .

٥٧- طه سعد عثمان ص ٢١٤. المصدر السابق

٥٨- جريدة الإخوان المسلمون ٢٩/١٠/١٩٤٧ الصفحة الأخيرة .

٥٩- نفس المصدر السابق.

٦٠- مجلة النذير / الخميس ٧ جمادى سنة ١٣٥٩هـ الموافق ١٣ يونيه ١٩٤٠ العدد الثامن عشر السنة ٣.

٦١- النذير- المصدر السابق.

٦٢- مجلة المصور العدد ١١٦- الجمعة مارس ١٩٤٦.

الفصل الثانى

فى السلطة مع الضباط
ومنها إلى السجون والمنافى

الفترة من ١٩٥٢ وحتى ١٩٥٤

فى الظلام كان القسم

اعتبر الإخوان استيلاء الضباط على السلطة فى ٢٣ يوليو١٩٥٢نصرا لهم، حيث كانت تربطهم صلات قوية مع بعض أعضاء " مجلس الثورة" منذ عام٤٤/١٩٤٥.

{كانوا إذ ذاك يذهبون ليلا إلى حى الصليبة فإذا ما إنطوى الحى يصلوا إلى بيت عتيق.. فيصعدون درجا يؤدى بهم إلى غرفة مظلمة لا أحد فيها ولا تفتح نوافذها.. ويجلس الضابط إلى منضدة وضع عليها مصحف ومسدس ثم يدخل إلى الغرفة فى الظلام رجل لايراه الجالس ويلقنه يمين الإخلاص للدعوة فيؤدى هذا القسم ويداه موضوعتان على المصحف والمسدس وتنتهى هذه العملية فيخرج الرجل من الغرفة أولا ثم يخرج الضابط ليجد رسول الإخوان الذى جاء به فى إنتظاره يقوده مثلما جاء به الى خارج الحى.} (١)

وبرغم هذه الصورة البوليسية التى يرسمها أنور السادات فى مذكراته فيبدوأن علاقة الإخوان بالضباط قد فترت بعد موت" حسن البنا" حتى كان نجاح الضباط فى الاستيلاء على الحكم.. فبالغ الإخوان فى الترحيب بهم.

{جيش باسل وشعب عظيم.} (٢)

{حركة الجيش فى سبيل الله والوطن،} (٣)

لقد ظن الإخوان أنهم وصلوا إلى الحكم عبر علاقتهم مع هؤلاء الضباط، فراحوا يطالبونهم باتخاذ الإجراءات السريعة لإعلان الدولة الإسلامية لكن

أملهم قد خاب للمرة الثانية.

وانقضى شهر العسل سريعا.. ولاقوا على يد " جمال عبد الناصر" - حليفهم اللدود- مالم يلاقوه على يد حكومات الأقلية من قبل.

دخلوا معه دهاليز الحكم وكان لهم مستشارين فى مجلس الثورة. وسرعان مادخلوا على يديه السجون والمعتقلات.

فكيف أدلى الإخوان بدلوهم فى الأحداث العمالية التى شهدتها تلك الفترة..؟

***

حركة يوليو تنصب المشانق فى كفر الدوار
والإخوان يؤيدون

من أول قرارات ضباط يوليو ١٩٥٢ إصدار حكم الإعدام على العاملين: مصطفى خميس ومحمد البقرى

العاملين بشركة مصر للغزل والنسيج بكفر الدوار.

وفى ساحة المصانع.. على الملأ.. أمام جميع العمال، اصطف المجلس العسكرى بالبزات الرسمية المنشاة، وشارات الصفيح اللامعة على الأكتاف، والوجوه المتجهمة أمام صفوف العمال المترقبة.. قرأ الضابط " عبد المنعم أمين" قرار إعدام خميس والبقرى، وأعقب ذلك لحظة سكون مميت، توقفت فيها أنفاس آلاف العمال الحاضرين وتعلقت عيونهم بخميس والبقرى الذين تلقيا النبأ فى صمود مهيب.

لشد ماكشفت تلك اللحظة على قصرها من حقائق:

- كشفت الذعر الذى يعصف بهؤلاء الضباط خشية إتساع موجة الإضرابات العمالية وإفلات الزمام من أيديهم- يجب أن يستكين الوضع حتى تستقر الدبابات فى مقاعد الحكم، ولو كان الثمن هو سحق إرادة جميع العمال.

- كما كشفت الديكتاتورية ووسائل القمع التى حملتها حركة الضباط للمجتمع وخصوصا لطبقاته الشعبية، وسوف تتجلى هذه الديكتاتورية فى حل الأحزاب وتسريح كل القوى السياسية، فيماعدا الإخوان المسلمين.

وفور وقوع الأحداث يومى ١٢.١٣ أغسطس، بعد أيام قليلة من الانقلاب سارع " مجلس الثورة" بإضافة مادة جديدة إلى قانون الأحكام العرفية تقضى بسرعة تشكيل" مجلس عسكرى" فى منطقة الأحداث، على غرار مافعله الاحتلال البريطانى فى محاكمة دنشواى، وتكون المجلس من بكباشى" عبد المنعم أمين" والمعروف بعلاقاته الوثيقة مع السفارة الأمريكية فى مصر- رئيسا وبكباشى " عبد العظيم شحاته" وصاغ" احمد وحيد حلمى" وصاغ" محمد بدوي الخولى" ويوزباشى " فتح الله رفعت" أعضاء أصليين.. وتكون هذا المجلس بسرعة غريبة، كما حصل على موافقة " على ماهر" خلال نصف ساعة اجتمع فيها مجلس الوزراء بشكل صورى ومضى على القرارات التى كانت معدة سلفا.

وصدرت الأحكام بسرعة غريبة حتى أن المحامين المقيدين من قبل المجلس كانوا يتذمرون من عدم توفر الوقت للاطلاع على ملفات القضية، فالأحكام كانت جاهزة وليس مطلوبا سوى إكمال الصورة بوجود محامين سواء دافعوا عن العمال أو لم يدافعوا.

ومن المشاهد المضحكة المؤسفة، أن يمثل أحد المتهمين أمام المحكمة العسكرية دون محامى، فيسأل الرئيس:- أليس فى القاعة محامى يدافع عن هذا المتهم.. فيقف " موسى صبرى" الذى كان ذاهبا بصفته الصحفية لتغطية الأحداث ويقول أنه متخرج من كلية الحقوق، فيعطيه المجلس دور الدفاع من أجل إكمال الصورة. وبعد صدور الأحكام جاء دور التصديق عليها.. ولنسمع كيف يبرر- محمد نجيب- جريمة الضباط فى حق الطبقة العاملة:-

{صدر حكم المجلس بإعدام العاملين مصطفى خميس ومحمد البقرى وجاء الحكم لى للتصديق.. وتوقفت لن أصدق على حكم بالإعدام وحركتنا لم يمضى عليها عشرات الأيام، وطلبت مقابلة المتهمين بعد أن أفصحت عن رأيى صراحة.

وأحاطتنى تقارير مخيفة بأن أى تهاون فى مواجهة العمال سوف يؤدى إلى انتشار الاضطرابات والتظاهرات فى مناطق التجمع العمالية فى شبرا الخيمة والمحلة الكبرى وغيرهما. وكنت أعرف أن هذه التقارير قد كتبت بأقلام رجال الأمن السابقين فى عهد الملك، ولم يكن كافيا أن نغير إسم (البوليس السياسى) ليصبح المباحث العامة بعد الثورة حتى يتوقف عمله. كما أن عزل بعض كبار ضباطه لم يكن كافيا أيضا لتغيير إتجاه نشاطهم فى لحظة واحدة بلمسة.

وحضر" مصطفى خميس" إلى مكتبى بالقيادة، دخل ثابتا وعندما رجوته أن يذكر لى عما إذا كان أحد قد حرضه لأجد مبررا لتخفيف الحكم عليه، أجاب فى شجاعة بأنه لا هيئة ولا إنسانا من ورائه، وأنه لم يرتكب مايبرر الإعدام. وإمتد الحوار بيننا نصف ساعة طلبت له فيها فنجانا من الشاى وكنت ألح عليه كما لو كان قريبا أو أخا عزيزا ولكن دون فائدة فقد كان صاحب مبدأ لم يخنه فى الفرصة الأخيرة لنجاته ، وخرج مصطفى خميس من مكتبى وقد أثقل الحزن قلبى، بعد أن صدقت على الحكم.{ (٣)

لكن قلب محمد نجيب الرقيق وقلب الضباط الأحرار الأكثر رقة أصر على تنفيذ الحكم وإعدام مصطفى خميس الذى لم يبلغ من العمر عشرين عاما، وهو { من أهالى إدكو، تلقى دراسته الثانوية فى المدرسة المرقسية

الثانوية بالاسكندرية حتى السنة الثالثة، ثم اشتغل مخزنجيا بالشركة وقضى فى خدمتها سبع سنوات وقد اعترف بقيادته المظاهرة وهتافه" يحيا محمد نجيب" وكان يعول والديه وأخوين طفلين.} (٤)

أما محمد البقرى فكان يعمل غفيرا بشركة مصر للغزل والنسيج. وأصر جميع الضباط الأحرار- فيما عدا خالد محى الدين ويوسف صديق- على إعدام العاملين فى محاولة لإعدام إرادة الطبقة العاملة فى شخصيهما بينما إختلف الموقف حينما تعلق الأمر بأشخاص من الطبقة المالكة، ففى نفس العام صدر الحكم بالإعدام على " ابراهيم عبد الهادى" رئيس الوزراء السابق وأحد جلادى الشعب المعروفين .. فظهرت الرقة الحقيقية للضباط وقاموا بحمايته، ورفض محمد نجيب التصديق على هذا الحكم بحزم ودون ميوعة أو تلكؤ مفضلا أن { يلتف حبل المشنقة حول عنقه شخصيا قبل أن يصدق عليه.} (٥)

وفعلا خفف الحكم إلى السجن حتى لايخالف الضباط الأحرار مبادئ حقوق الإنسان والعالم الحر، وحرية الرأسمالية، وكل أنواع الحرية التى فصلت خصيصا لعلية القوم دون غيرهم.!!!

أما موقف القوى السياسية الموجودة وقتها خصوصا الإخوان المسلمين موضوع بحثنا فكان لايقل صرامة وعداء ضد العمال.. فنلاحظ أن صحافة الإخوان قد هللت لحركة الضباط واستبشرت بها خيرا ، لماكان يعتقده الإخوان من أن الحركة قد قامت بفضل دعايتهم فى صفوف الجيش غير مراعين توليفة المجلس الذى كان يحتوى على عدد من الاتجاهات، فإذا ماكان بعض الضباط تربطهم صلات قديمة مع الإخوان ، فإن آخرين كانوا أقرب إلى

الشيوعية مثل يوسف صديق الذى كان يطالب بالغاء الرقابة على الصحف وتكوين إتحاد عام للعمال ولما لم يجد أذنا صاغية، واتضحت له الميول الديكتاتورية للضباط، قدم استقالته بعد ذلك .وكانت حملة الإخوان ضد الشيوعية فى إزدياد ، وحملتهم على الحركة العمالية فى إزدياد أيضا.

وقبل أحداث كفر الدوار، وعلى إثر أنباء إضراب عمال شركة صباغى البيضا يوم ١٩٥٢/٨/٩ اقترح الإخوان المسلمين تطبيق حد " الحرابة" على العمال المضربين ، ويقضى هذا الحد بقطع الأيدى والأرجل من الخلاف.

وكانت هذه الشراسة الإخوانية ضد العمال قبل أن تبدأ أحداث كفر الدوار، أو يتوقيع أحد حدوثها.

فى يوم ٥ أغسطس، وقبل إندلاع أحداث كفر الدوار أيضا نشرت مجلة الدعوة مقالا شديد السفور فى صفحتها العمالية بقلم " محمد بكير" يبارك حركة الجيش ويدعو إلى تعاون العمال وأصحاب الأعمال:

{وإن كان لايفوتنى أن أذكر العمال أنه بقدرما فرحنا أشد الفرح لهذه النهضة الجديدة فقد حزنا لقيام فئة قليلة بإنتهاز الفرصة للدعوة إلى الشيوعية الهدامة، وإذا كان البوليس قد تولى التحقيق فى هذا الأمر ليقدم هذا النفر من الخونة إلى المحاكمة، فما كنت أريد ذلك. كنت أريد من العمال الذين نفروا من هذا العمل الشائن الشنيع أن ينصبوا من أنفسهم قضاة ويحكموا على هؤلاء بالإعدام..} (٦)

إذن فقد أصدر الإخوان حكم الإعدام على العمال قبل أن يصدره الضباط بأيام وإذا كان حكما معنويا تبلور فى هذا المطلب على صفحات الجرائد.. إلا أنه بلغ حدا من العنف والسفور غير المسبوق فى القضايا العمالية،

وبرغم أنهم لايوضحون فى المقال السابق طبيعة الأحداث، وفى أى موقع كانت إلا أنهم يهاجمون من خلالها أى مقاومة عمالية.

وبرغم أن البوليس قد قام بالقبض على هؤلاء العمال والتحقيق معهم كما هو واضح.

إلا أن الإخوان المسلمين لايكتفون بتلك الإجراءات البوليسة، فما القبض على العمال وسجنهم ومحاكمتهم من وجهتونظر الإخوان إلا أمور تافهة ، لاترقى إلى حد إجراءاتهم الرادعة بتطبيق الحدود والإعدامات.

لقد أبرزوا أنيابهم التى طالما أخفوها تحت ابتسامة التسامح المفتعل. وفى تلك الفترة كانوا يتحدثون بصراحة ودون مواربة ظنا منهمرأن مقاليد الأمور قد صارت فى أيديهم، وأخذت فتاويهم فى شئون المجتمع والسياسة تحتل مكانا بارزا فى الصحف والمجلات وكثيرا ما نجد " مانشيتات" تمتلئ بالثقة فى النفس وكأنهم الحكام المباشرين:

- رأى الإخوان فيما يشغل الرأى العام.
- المرشد العام يبلغه أمس إلى رئيس الوزارة بيان تفصيلى بالموقف تذيعه الجماعة غدا.

[حضر الأستاذ حسن الهضيبى المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين يصحبه الأستاذ عبد الحكيم عابدين السكرتير العام للجماعة فى الساعة ١٢ والدقيقة٥٤ بعد ظهر أمس إلى دار الرياسة وقابلا رفعة" على ماهر" واستمرت المقابلة نحو نصف . وصرح المرشد العام عند إنصرافه لمندوب الأهرام بأنه أبلغ رفعة رئيس الوزارة، رأى الإخوان المسلمين فى جميع المسائل التى تشغل بال الرأى العام الآن.

وسأله المندوب : هل كانت المقابلة مشبعة بروح التفاهم، فقال فضيلة المرشد أن الإخوان المسلمين على حق دائما ولايوجد من يختلف معهم،} [٧]

وبعد مقابلة الهضيبى لعلى ماهر بعدة أيام وقعت أحداث كفر الدوار وبنفس الصراحة أعلنوا موقفهم من الأحداث، ونشرته لهم الصحف باعتبارهم قوة ذات وزن فى الحياة السياسية.

{ إجتمع مكتب الإرشاد العام للإخوان المسلمين مساء أمس واستعرض بعض الشئون العامة والخاصة، وماوقع أخيرا فى مصانع كفر الدوار، وقرر إذاعة البيان التالى وقد أملاه علينا الأستاذ عبد الحكيم عابدين السكرتير العام للإخوان.

يهيب الإخوان المسلمون بأبناء الوطن عامة أن يتخذوا من أنفسهم حراسا لهذه النهضة وحفظة على جلال خطواتها وآثارها من كيد العابثين رؤوسا وأذنابا بأن يتعقبوا البغاة والمفسدين ويقدموا كل مايسعهم من عون لإحباط أية محاولة يراد بها الإخلال بالأمن أو الإساءة إلى البلاد، رعاية للمسئولية التى تفرضها الوطنية الصادقة على كل مواطن كريم. المرشد العام حسن الهضيبى.} [٨]

والمرشد العام الذى تحقق دوره أخيرا فى إرشاد السلطات ضد العمال.. وفى المطالبة بتعقبهم بعد أن سمى المتظاهرين بالمضللين، وطالب بتعقب البغاة والمفسدين الذين هم عمال كفر الدوار ، بعد كل ذلك تواصل صحافة الإخوان حملتها المسعورة ضد العمال المشتركين فى الأحداث.

فنجد تحت عنوان" ابحثوا عن المجرمين الحقيقيين" التحريض السافر التالى:

{فى كفر الدوار، هذا البلد الآمن، وقع مالم يكن فى الحسبان، قام حفنة من العمال يخربون ويدمرون - أى والله يخربون بيوتهم وهم لايدرون - ويلقون بأيديهم إلى التهلكة وهم لايشعرون.. يالهم من سذج بلهاء، خدعهم المغرضون الخونة، وغرروابهم ليعيثوا فى الأرض الفساد، واستعملوهم لينشروا الفوضى والإضطراب .. أوعز هؤلاء الخونة الآنذال إلى حفنة من العمال البسطاء وأغروهم بزيف من القول وفضل من المال، قاموا يريديون أن يعكروا الصفو ويشوهوا جلال العهد الجديد عهد الحق والقوة والحرية .. يريدون أن يرجعوا بالأمة القهقرى ويعيدونها سيرتها الأولى من الإنحلال والفوضى والفساد لتعود إليهم الحياة.

يارجال التطهير هؤلاء هم المجرمون الحقيقيون اسحبوهم من حجورهم وأخرجوهم من مخابئهم ومن وراء الجدار، وأعرضوهم أمام الشعب ليتعرفوا عليهم ولتستبين سبل المجرمين ولاتأخذكم بأعداء الله والوطن رحمة ولا شفقة فإنما جزاؤهم حدده الحق تبارك وتعالى " إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض.} [٩]

وفضلا عن المغالطات الكثيرة التى يحملها المقال السابق، وتجنب ذكر مطالب العمال مثل تطهير الإدارة من حاشية المدير السابق وتقرير الراحة السنوية للعمال وإنشاء مجلس نقابة لهم وغيرها من المطالب العمالية الصرفة. فإن المقال يحمل إتهاما خطيرا لقادة الأحداث بالخيانة والشراء بالمال. هذا الإدعاء الفج الرخيص، الذى لم تجرؤ الصحف الرسمية ولجنة

التحقيق على إتهام العمال به. يستخدمه الإخوان لتحريض المجتمع ضد العمال.

والأحداث ببساطة حسب شهود العيان وتقارير الصحافة فى ذلك الحين، أن العمال خرجوا يهتفون للضباط والحركة الجديدة ويطالبون بتطهير الإدارة وإنشاء مجلس نقابة يدافع عن حقوقهم مع تقرير حق الراحة الاسبوعية والسنوية المدفوعة الأجر. لكن الإدارة تعاملت مع الإضراب والمطالب العمالية باستهانة بالغة.. بل واستخدمت فى خطابها إلى العمال المضربين لغة استفزازية مثل قول المدير للعمال:{ أنا حأخليكو نسوان} ويبدو أن هذا الموقف دفع شرارة الأحداث ، خصوصا فى ظل الدعاية التى انتشرت وقتها عن عدالة " مجلس الثورة" ودعوته إلى التخلص من الاستبداد والفساد السابق.

وفى حوالى الساعة العاشرة والنصف مساء يوم ١٢ أغسطس أعلن عمال وردية المساء الإضراب احتجاجا على سوء المعاملة التى يلقونها من رؤسائهم وقلة أجورهم، وإنضم إليهم عمال الورية الثانية وبدأوا فى التظاهر وإشعال النار فى مكاتب الإدارة والأمن. وكانت تتردد بينهم صيحات { احرقوا مكتب الظلم} أما آلات المصنع التى كانت تقدر بحوالى ١٠٠ مليون جنيه فلم تمس بسوء - لمزيد من التفاصيل انظر مجلة المصور ١٤٥٤- ٢٢ أغسطس١٩٥٢م- وبسرعة غريبة تحركت وحدات من الجيش المرابط فى الاسكندرية لنجدة بوليس كفر الدوار، وحاصرت منطقة المصانع بالدبابات والعربات المصفحة وقبض على حوالى خمسمائة عامل حبسوهم داخل المصنع، وانتهى الحادث الأول عند هذا الحد.

وفى الساعة الثانية إلا عشر دقائق من بعد ظهر اليوم التالى جاء بقية العمال متظاهرين وقد حملوا العصى وفروع الأشجار لانقاذ زملائهم المقبوض عليهم. وكانت هذه المظاهرة بقيادة مصطفى خميس.

وتقدم المتظاهرون من المصنع وحاولوا اقتحام بابه الخارجى عنوة فتصدت لهم قوات الجيش وأطلقت عليهم نيرانها.. وتفرقت المظاهرة وسقط من القتلى ثلاث..

فما كل هذا الجنون الذى أصاب الضباط من إندلاع مظاهرات عمالية حتى ولو كانت تهتف بحياتهم..؟

إن الخوف من حركة الطبقة العاملة كان واضحا.. والرغبة فى توجيه ضربة قاسمة إليها قبل أن يزداد تأثيرها السياسى. ومهما كانت الأسباب فقد كشف رد الفعل المسعور للضباط عن عداء غريزى ضد العمال.. وكان تحريض الإخوان المستمر يزيد من تأجيج نيران العداء. والمقالات السابقة مجرد نماذج للأكاذيب التى كان الإخوان يشيعونها . فاضرابات العمال العفوية لم يدبرها متآمرون ولا يمكن أن تشترى بالمال كما يدعى الإخوان الذين لايستطيعون أن يفهموا هذا النوع من الأفكار ومشاعر الحرص على الآلات ، لما تربوا عليه من روح المؤامرة.. ولذلك فهم أمام جميع الأحداث العمالية والجماهيرية يشيرون إلى أصابع خفية دبرت الأمر وحركته.. فهل هذا منطق يمكن أن يفهم طبائع الأمور..؟؟

***

بعد أحداث كفر الدوار اتخذ الضباط من "سيد قطب" مستشارا لهم، وظهرت بصماته على العديد من قرارات مجلس الثورة المتعلقة بشئون العمل

والعمال. ونذكر فى تلك المناسبة حادثة وفد العمال الذى قام بزيارة مجلس قيادة الثورة لمناقشة موضوع انعقاد المؤتمر التأسيسى للإتحاد العام ، والذى كانم مقررا انعقاده أيام ١٤ . ١٥ . ١٦ سبتمبر بعد أيام قليلة من إعدام خميس والبقرى.

ومن المضحك أن يكون المسئول عن شئون العمال هو" عبد المنعم أمين" رئيس محكمة كفر الدوار، ومستشاره " سيد قطب" وحينما كان وفد العمال يناقش موضوع المؤتمر والإتحاد ، تدخل سيد قطب فى الكلام بثقة بالغة وجفاء غريب قائلا:

ان النقابات فى حاجة أولا إلى أن تطهر مشيرا بالتحديد إلى أحمد طه سكرتير نقابة عمال ماركونى.

والإخوان كما هو واضح كانوا ضالعين مع الضباط فى الفترة الأولى، ولم تكن مواقفهم مجرد استنكار أو شجب كغيرهم من القوى السياسية. - وحينما شكلت أول وزارة برئاسة اللواء محمد نجيب يوم ٧ سبتمبر ذلك اليوم الحزين الذى نفذ فيه حكم الاعدام فى شهداء الطبقة العاملة.

ودشنت أول وزارة وجودها بلف حبل المشنقة حول رقبة العاملين..

وكانت هذه الوزارة تضم اثنين من الإخوان المسلمين.. الذين اشتركوا أيضا فى لجنة الدستور الجديد. (١٠)

ويبدو أن تعثر إنعقاد المؤتمر التأسيسى للإتحاد العام الذى كان العمال يعقدون عليه الآمال، كان بسبب العوائق الشديدة التى وضعها عبد المنعم أمين رجل المخابرات المركزية الأمريكية، وسيد قطب رجل الإخوان المسلمين.

ونشرت الصحف يوم ١٢ سبتمبر قرار مجلس الثورة بتأجيل موعد

إنعقاد المؤتمر التأسيسى للإتحاد إلى أجل غير مسمى.

وكانت هذه هى الضربة الثانية للآمال العمالية فى غضون أيام قليلة . وظلت برقيات الاستنكار تنهال على مجلس الثورة آتية من الإتحادات العالمية وجمعيات حقوق الإنسان فى الخارج لتؤدى جزء من الدور الذى لم يقم به أحد على الإطلاق فى مصر.

وحتى الآن لم تفتح الطبقة العاملة سجلها التاريخى لتكشف تاريخ الجرائم التى حدثت فى حقها.. وهى كثيرة.. كثيرة..

***

القمع فى ثياب قانونية

صدر قانون العمل الجديد وفى صدره نفى حق الإضراب وتحريمه تحريما قاطعا، بالإضافة إلى الموافقة على مبدأ الفصل التعسفى للعمال، مما يؤكد أن روح العداء للطبقة العاملة كانت تسود فى مجلس الضباط، وأنهم كانوا على استعداد لإستخدام كل الوسائل من أجل سحق إرادة العمال الجماعية تحت القدم العسكرية الغليظة.

ومحمد نجيب يكتب فى مذكراته إشارة إلى الجو السائد أنذاك:

{كانت ظروف التخوف من إنفجارات عمالية تدفع عددا كبيرا من أعضاء المجلس إلى الموافقة عليه- يقصد الموافقة على قانون العمل الجديد الذى أعده عبد المنعم أمين ومستشاره سيد قطب- ولكن خالد محيى الدين اعترض على ذلك مبديا حججا سليمة تناقض المشروع التيار الغالب كان يدافع لإصدار قانون ، لولا تهديد خالد محى الدين بالاستقالة وتأييدى له فى رأيه، وحرصا على وحدة المجلس، أعدت المشروع للمناقشة وتقرر منع الفصل التعسفى للنشاط النقابى، على أن تؤجل حقوق العمال لحين إقرار الدستور.} (١١)

ولكن بعد ذلك أقرت اللجنة الثلاثية لمراجعة تشريعات العمل والتى كان عبد المنعم أمين عضوا محوريا فيها، بالإضافة إلى وجود ممثلين عن الحكومة وأصحاب الأعمال وممثلين عن العمال، مبدأ الفصل التعسفى الذى أثار الضجة السابقة، كما ظل تحريم الإضراب معمولا به حتى الآن.

{وظهرت مناقشة أعضاء مجلس قيادة الثورة أنهم لايوافقون على إعادة العمال لعملهم إذا ثبت للمحكمة أن الفصل التعسفى بلاسبب أومبرر.} [١٢]

***

البوليس يتنكر فى ثياب العمال

ثم دار الزمن دورته.. وإنفض التحالف غير المقدس بين الإخوان وعبد الناصرو وصدر بيان طويل من مجلس القيادة يتهم فيه الإخوان بأن لهم اتصالا بالإنجليز وأنهم يعيدون تشكيل الجهاز السرى، وفى ١٥ يناير ١٩٥٤ صدر قرار مجلس الثورة بحل جماعة الإخوان المسلمين بأغلبية الأصوات واعتقال ٤٥٠ عضوا منهم.

وسرعان مادب الخلاف داخل مجلس " قيادة الثورة" نفسه بين ناصر ونجيب فيما عرف بأزمة مارس ١٩٥٤، كان نجيب يتمسك بطلب عودة الجيش إلى ثكناته وإجراء إنتخابات برلمانية وعودة الأحزاب حتى تتحسن صورة المجلس فى نظر الشعب.

بينما كان عبد الناصر يتمسك بقرار إلغاء الأحزاب وعدم عودة الجيش بحجة أن الأمور لم تهدأ بعد.

وفكر "ناصر" فى محاربة نجيب بسلاح الجماهير والمظاهرات المؤيدة له .. فأجرى مباحثات جديدة مع الإخوان المسلمين لضمان تعاونهم أو على الأقل عدم تدخلهم لصالح خصمه.

كان عبد الناصر يريد أن يظهر أمام الرأى العام أن الشعب يؤيده ويرفض نجيب، وعن طريق الصاغ" احمد طعيمه" أحد المشرفين على هيئة التحرير حاول إستمالة بعض النقابيين الصفر إلي جانبه، ونجح فى إجتذاب " الصاوى احمد صاوى" والإتفاق معه على إضراب عمال النقل. كما عبأ " الصاغ

مجدى حسنين" عمال هيئة التحرير.

وفي اليوم المحدد للتظاهر اتجهت قوات الحرس الوطنى فى ثياب العمال ورفعوا الشعارات المؤيدة لعبد الناصر.

وبعدها سارع عبد الناصر إلى تحريم التظاهر.. والقبض على نجيب وتحديد اقامته ثم إنطلق فى التخلص من تحالفه غير المقدس مع الإخوان بعد حادث المنشية الشهير..

وبدأت المحنة الثانية للإخوان فى اكتوبر١٩٥٤.

وفى ٩ ديسمبر صدرت أحكام الإعدام على عدد من الإخوان.

فذاقوا من نفس الكأس التى طالما طالبوا بتجريعها للطبقة العاملة!!

هوامش أحداث كفر الدوار

الأهرام ١٥ أغسطس ١٩٥٢ ص١

اجتماع مفاجئ لمجلس الوزراء- إضافة مادة جديدة لنظام الأحكام العرفية. تأليف محكمة عسكرية لجرائم كفر الدوار:

أجمع الوزراء عند حضورهم إلى دار الرياسة أنهم لايعرفون ماذا أعد الرئيس على ماهر يعرضهم عليهم. ولم يتول الرئيس على ماهر رياسة الاجتماع إلا فى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر، وظل المجلس مجتمعا، نصف ساعة غادر بعدها الرئيس دار الرياسة بعد أن صرح بأن المجلس روافق على إصدار مرسوم بقانون باضافة مادة جديدة إلى قانون اعلان الأحكام العرفية وأن هذه المادة الجديدة خاصة بإنشاء مجلس عسكرى وكان الرئيس قد وقع وهو فى قاعة اجتماعات مجلس الوزراء بوصفه الحاكم العسكرى العام الأمر العسكرى رقم ٤١ نص فى المادة الأولى منه على أن تؤلف محكمة عسكرية عليا للفصل فى الجرائم التى نشأت عن الحوادث التى وقعت يومى ١٢و١٣ أغسطس سنة ١٩٥٢ فى كفر الدوار ومايرتبط بها من حضرات: بكباشى عبد المنعم أمين رئيسا وبكباشى محمد عبد العظيم شحاته وصاغ أحمد وحيد حلمى وصاغ محمد بدوى الخولى ويوزباشى فتح الله رفعت أعضاء أصليين .

- الأهرام ١٩٥٢/٧/٢٨ ص٦

الإخوان يؤيدون الجيش ويؤازرونه ويدعون إلي حماية نهضته الصادقة ،

بيان للمرشد الى الإخوان بوادى النيل:

والإخوان المسلمون - بطبيعة دعوتهم- خير سند لهذه الحركة، يظاهرونها ويشدون أزرها حتى تبلغ مداها من الإصلاح، وتحقق للبلاد ماتصبو إليه من عزة وإسعاد. وإن حالة الأمن لتتطلب منكم- بوجه خاص- أعينا ساهرة ويقظة دائمة.

٣- استأنفنا الحديث وأصر المرحوم سيد قطب على حكاية التطهير هذه، فأخذت أشرح له طريقة التشكيل النقابى والتى تقوم على الإرارة الحرة لأعضائه حيث ينتبخون قياداتهم بالإنتخابات، وقلت له أنه لم يؤخذ على النقابات حتى الآن أية إنحرافات مالية أو سياسية أو نقابية، فقال لى أنه يوجد شيوعيون بين قادة النقابات وأشار بشكل خاص إلى الزميل احمد طه عضو اللجنة التأسيسية وسكرتير نقابة عمال ماركونى، فقلت له إن هذه مسألة لاتشغل بالنا لأن تهمة الشيوعية هى التهمة التى يسهل دائما على أصحاب الأعمال أن يلقوها فى وجه القيادات النقابية وأن مايهمنا كنقابيين هو أن نتأكد من أن القادة النقابيون منتخبين إنتخابا صحيحا من قواعدهم أما التهم السياسية فهى أمر يخص الحكومة وأجهزتها تتصرف فيه طبقا للنظم القانونية المرعية.

هوامش الفصل الثانى

١- أنور السادات - أسرار الثورة المصرية- تقديم جمال عبد الناصر دار الهلال ١٩٥٧.

٢- مجلة الدعوة السنة الثانية العدد ٧٦ الثلاثاء ٧ ذى القعدة ٢٩يوليه ١٩٥٢.

٣- محمد نجيب - كلمتى للتاريخ - دار الكتاب النموذجى ص ٦٥.

٤- المصور العدد ١٤٥٤- ٢٢ أغسطس ١٩٥٢ ص٢٦ على هامش حوادث كفر الدوار.

٥- محمد نجيب- المصدر السابق.

٦- مجلة الدعوة الثلاثاء ١٤ ذو القعدة ١٣٧١هـ/ ٥ أغسطس ١٩٥٢ ص ١٣.

٧- الأهرام ١٩٥٢/٧/٣١ ص٧.

٨- الأهرام- ١٩٥٢/٨/١٥ ص ٦.

٩- الدعوة ٢٨ ذو القعدة ١٣٧١هـ - ١٩ أغسطس ١٩٥٢- الحكم على المتهم الأول فى قضية كفر الدوار بالاعدام ص ٨.

١٠- المصور ٦ مارس ١٩٥٣ ١٤٨٢ ص٣٤.

١١- محمد نجيب - المصدر السابق ص ١١٦.

١٢- محمد نجيب- المصدر السابق.

الفصل الثالث

إخوان اليوم وأساليب الأمس

- الفترة من ١٩٧٣ وحتى ١٩٨٩


٨٨

عفريت الإخوان يعاود الظهور

لسنوات طويلة.. طويلة.. خلت الحياة السياسية فى مصر من جميع الأصوات اللهم إلا صوت السلطة الناصرية.

ووجد الإخوان - بعد حمامات التعذيب الساخنة - أن مناخ الحياة قد صار مفارقا لهم كل المفارقة... وهاجر قادتهم هجرة المال الكبرى إلى بلاد النفط أو إلى مراكز رأس المال الأجنبى فى أمريكا وألمانيا الغربية.

أما من ظل فى مصر فقد إنكفأ على جراحه يلعقها دون أن يجرؤ على محاولة الإطلال برأسه ثانية.

وعاش الشعب وهم النضال الوطنى ومحاربة الاستعمار حتى فوجئ الجميع بالاستعمار فى عقر الدار عشية ٥ يونيو١٩٦٧. وبات النظام عاريا إلا من ضعفه وإهترائه.

وسرت الصدمة فى الجسد المخدر تهزه بعنف. وإنفجرت مظاهرات العمال والطلاب عقب فضائح محاكمات الطيران ١٩٦٨، لتبدأ موجة من إنتعاش اليسار الجديد فى الجامعة أساسا، وربما حدث تماس مع بعض القيادات العمالية.

وإتسعت موجة التمرد، وعجزت أجهزة البوليس والإعلام عن احتواء الموقف وتسكينه. صار المناخ العام فى المجتمع المصرى يساريا. ودفع هذا الضغط الداخلى إلى خوض حرب كتوبر١٩٧٣ لتبدأ بعدها سلسلة من التغييرات ، وكأنه لم يكن يكفى سحب البساط من تحت أقدام الحركة

الطلابية بتلك الحرب المحدودة والنصر العارض والتغييرات الاجتماعية التى أعقبت ذلك ولكن السادات سمح بإعادة بعث الإخوان المسلمين لموازنة الموقف السياسى. فقابل سرا زعماءهم الذين فروا أمام البطش الناصرى إلى الخارج وكونوا ثروات كبيرة شكلت أحد أسس الدعم المادى للإخوان المسلمين فى عودتهم الجديدة.

وعقب ذلك بدأ التدليك الجزئى لجسم الإخوان المسلمين فى مصر لتسرى فيه الحياة مرة أخرى ويخرجوا من القمقم.

أفراح الشعب .. أحزانهم

بدأ الإخوان المسلمون فى الظهور مرة أخرى كأقلية ليس لها أى تأثير، وبإذن من النظام حولوا مجلتى الدعوة والإعتصام من مجرد نشرات صفراء ذات طابع وعظى صرف، إلى مجلات صحفية حملت عبء نشر دعوتهم وقادت حملة مكثفة للهجوم على الشيوعية، وحاول الإخوان أن يزرعوا وجودهم فى الجامعة وأن يجتذبوا جماهير الطلاب التى كانت ملتفة حول " اليسار الجديد" فى سنوات ماقبل اكتوبر١٩٧٣.

وشهدت ساحة الجامعة فى ذلك الحين صدامات دموية صغيرة بين الجماعات الإسلامية المسلحة بدعم وتأييد السلطة وبالجنازير الحديدية، وبين الشيوعيين العزل ، الذين بدأوا يعانون من الإنحسار الجماهيرى، وتسارعت وتيرة هبوط مؤشر اليسار فى الجامعة بسبب عوامل كثيرة كان أهمها الإنكفاد على المطالب القديمة دون مراعاة لعوامل التغيير التى بدأت تشق طريقها فى جسم المجتمع.

وفى ١ يناير ١٩٧٥ شهدت القاهرة مظاهرات عمال حلوان فى ميدان " باب اللوق" ضد ارتفاع الأسعار، وكان ذلك صدمة شديدة للنظام السياسى الذى كان يبذر الوعود حول الرخاء القادم. لكن الأعوام تمضى والرخاء لايطرق أبواب العمال، وهم الذين كانوا وقود المعركة، وإحتملوا ويلات التقشف وشد الحزام ومضاعفة الإنتاج وتقديم الأرواح فى الميدان.

وبعد كل ذلك يرى العمال أن ثمار صبرهم الطويل بدأت تجنيه فئات

أخرى، كانت مشغولة بجمع الثروة طوال سنين الحرمان الطويلة السابقة، وأن تلك الفئات تطالب الآن بالتغييرات التى تمكنها من السيطرة المباشرة على الحياة الاقتصادية والسياسية.

ومظاهرات العمال فى " باب اللوق" كانت رفضا عفويا لمظاهر الثراء المتراكم فى جانب ، والفقر والفاقة فى الجانب الآخر.

وبالطبع لقيت تلك المظاهرة العمالية قمعا شديدا، وتم القبض على حوالى ١٢٠ عاملا وإحالتهم إلى النيابة.

وشاركت مجلتى الدعوة والإعتصام صحافة الحكومة حملتها المسعورة ضد إنتفاضة العمال وضد الشيوعيتي فى نفس الوقت.

***

وتحريض الإخوان ضد المظاهرات العمالية ليس جديدا، فهم يقدمون أنفسهم كفصيل يمكن الإعتماد عليه وقت تصاعد الخطر العمالى، كما لو كانوا تيارا سياسيا يوصل الطلبات إلى منازل الرأسمالية فيخلصها من أعدائها ويسكن المجتمع ويهئ فرص تكثيف الربح.

وسرعان ما إنتهزوا فرصة إنفجار أحداث مظاهرات " باب اللوق" لتوجيه أصابع الإتهام :

{ حوادث الهدم والتخريب الأخيرة وراءها تنظيمات ماركسية وشيوعية يجب القضاء عليها.} (١)

{ إن على ولاة الأمور أن يضربوا بيد من حديد على رؤوس هذه الفئة الهدامة حتى لاتقوم لهم فى دولة العلم والإيمان قائمة.} (٢)

وطبعا لم يكن ولاة الأمور فى حاجة إلى دعوة الإخوان للتنكيل بالعمال،

فقد كانت أعمال القمع والقبض والسجن قد وقعت بالفعل تحت إسم " أخلاق القرية". تلك الأخلاق التى إستخدم السادات " أنيابها" الديمقراطية كذريعة لضرب الحركة الطلابية والعمالية وكل من إختلف معه بصفته كبير العائلة.

وراح الإخوان يناشدونه بتلك الصفة - التى ليست له- بأن يضرب العمال " بيد من حديد".

وكثيرا مانشرت مجلة الإعتصام شكر وتقدير للسيد الرئيس مع المبالغة فى إظهار الود والمحبة:

"سيدى الرئيس

نبارك جهادك الكريم فى بناء صرح الدين من جديد بعد طول خراب.. لبنة للعلم.. ولبنة للإيمان.. وهذا هو الطريق.. الأمل فيكم كبير.. ياصاحب القلب الكبير.

حسن عاشور". (٣)

ولم تنتهى رسائل الحب السياسى إلى السادات صاحب القلب الكبير، وصاحب الأشياء الأخرى التى يحتاجها الإخوان فى إنطلاقتهم الجديدة.. وكان الإخوان يباهون بتلك العلاقة قبل أن تأخذ منحنى آخر فى نهاية السبعينات حينما شكاه التلمسانى إلى الله فى لقاء الاسماعيلية.. ففى زهوة الحب " السياسى " تنشر الإعتصام:

{روعة الإسلام فى لقاء الحاكم والمحكوم.. بين السيد الرئيس السادات والأستاذ عمر التلمسانى:

كم نود أن يتكرر هذا اللقاء مرات ومرات.. على أن يكون فى شكل محدود قاصر على رجال الدعوة ورؤساء الهيئات الإسلامية.. وعلى أن

يكون الحوار أوسع نطاقا دون تسليط الأضواء لكى لايتقيد المتحدثون بروتين معين، ولكى يكون الحوار أكثر حرية وصراحة وإنطلاقا.. ولكى يفتح كل متحدث صدره وقلبه. فليس كل مايجب أن يقال يجب أن يذاع..}[٤]

ولكن ما الذى لدى الإخوان ليخفونه عن الشعب..؟ لماذا يريدون مزيدا من اللقاءات السرية بينهم وبين الرئيس أو بين رجال الرئيس وممثلى رأس المال.؟ وإذا كانت الأحداث تكشف جانبا.. فالتعتيم المتعمد لايزال يغلف التفاصيل والحقائق.. ولقد تكررت اللقاءات واستمر التعاون بين الإخوان والسادات عدة سنوات.. أتت بعدها جفوة شديدة، وظهر الوجه الآخر الذى كان كل طرف يتفنن فى إخفائه والتمويه عليه ليحقق مايريد من إستخدام الطرف الآخر، ولعبة الإستخدام السياسى لا تتوقف على ذكاء أحد الطرفين.- مهما بلغ - لإنها تحمل فى القلب منها عوامل الاختلاف والإنهيار المؤكد..، كما حدث حينما إنقلب السادات على الإخوان ، ثم جاءت نهايته على يد جماعة الجهاد- أحد الأبناء العاقين للإخوان-.

المهم أنه فى فترة التعاون السياسى أقام الإخوان مهرجان دعاية متعدد الأهداف للهجوم على الشيوعية والهجوم على الحركة العمالية ودعوة الحكومة لإقامة الشريعة الإسلامية وكان ولاة الأمور ينتظرون هذا النوع من دعاية الإخوان.. ينتظرون قميصهم الذى يمكن أن يعبأ فيه قطاع آخر من الجمهور يقف فى معارضة الجمهور الثائر اليسارى المزاج.

وتظل مجلات الإخوان تبث دعايتها ضد الشيوعية والحركة العمالية، حتى كان الحدث الكبير الذى هز جذور مصر وهدد كل نظمها ومؤسساتها.

***

شبح يناير يطاردهم

فى ١٨و١٩ يناير ١٩٧٧ استيقظت البلاد على انتفاضة عارمة بعد قرار رفع الأسعار وكان للطبقة العاملة سبق تفجير شرارتها، فاندلعت المظاهرات فى كل المدن الكبرى وجذبت خلفها الجمهور العريض.

بدأ عمال حلوان أحداث القاهرة. وبدأ عمال الترسانة البحرية أحداث الاسكندرية، كما اشترك فى الأحداث عمال كفر الدوار وكفر الزيات وشبرا الخيمة وغيرها من المواقع العمالية- فيما عدا المحلة الكبرى التى كانت تعانى من آثار القمع الواقع عليها بعد إضراب عام ١٩٧٥، والذى فضته سلطات البوليس والجيش بعنف شديد- وفيما عدا هذا الموقع العمالى كانت الطبقة العاملة هى قائدة أحداث يناير١٩٧٧، سرت بين صفوفها جميعا شرارة الإنتفاضة بشكل عفوى مذهل دون أى تدبير أو اتفاق مسبق. وكانت هذه الأحداث مفاجأة للجميع بمافيهم اليسار، الذى كان لايزال قريبا من الجمهور، قادرا على التأثير فيه ولديه كوادر طلابية من أبناء هذا الجمهور سرعان ما إندمجت فى المظاهرات وصارت جزءا منها.

أما القابضين على زمام الحكم، فقد فوجئوا بالأرض تهتز من تحتهم وحبسوا الأنفاس وظنوا أن دعائم أبنيتهم قد إنهارت فوقهم.. ثم وبعد قليل أدركوا أن العاصفة كانت شديدة العفوية، وليس لديها أية قيادة جاهزة، وأن مارد الشيوعية الذى يرتجفون منه لم يكن مهيأ لقيادة الأحداث وإن كان ملتحما بها.

أما الإخوان المسلمون فقد كانت مفخرتهم الكبرى أنهم لم يشاركوا الشعب فى ثورته. وأخذوا يطالبون بإنزال أقصى العقوبات عليه فيكتب " محمد عبد القدوس" بفرح غريب:

{أحداث ١٨و١٩ يناير أثبتت أصالة الجماعات الإسلامية.} (٥)

ويستشهد برأى حافظ سلامة الذى يسميه بطل المقاومة الشعبية، مع أنه كان يهاجم فى هذا الحديث الحركة الشعبية ويطالب بإنزال العقاب على الشعب القائم بها وعلى قياداته الطبيعية.

{العناصر الإسلامية لم تخدع بهذه الأحداث مما أفسد مخططها. فمثلا الطلبة المنضمون إلى الجماعات الإسلامية فى الجامعات والمعاهد لم يخدعهم بريق الوعود الزائفة مما كان له أثر كبير فى إمكان القضاء على الفتنة بسرعة.وكنا نتمنى أن يدرك المسئولون هذه الوقفة المؤمنة من الجماعات الإسلامية المؤمنة، والتى أثبتت فى هذه الأيام السوداء أصالتها وأصالة الفكر الإسلامى الذى تعتنقه.} (٦)

ويبدو أن حافظ سلامه حامل لواء الدعوة الإسلامية، وحامل طربوش الخلافة العثمانية لم ينتبه إلى أن الإنتفاضة أخمدت ليس بسبب عدم اشتراك الجماعات الإسلامية فيها، بل بفعل قوات الجيش التى زحفت على المدن وحاصرت الميادين وتراجع الحكومة عن قرارات رفع الأسعار. وبعد إجراءات القمع الواسعة بدأ النظام فى إلتقاط أنفاسه وصدرت مجلة الإعتصام وفى افتتاحيتها مانشيت:

{ رفضتها الأمة ثورة حمراء فكانت ليلة سوداء} (٧)

ويبدو أن شدة الأحداث أفقدت" حسن عاشور" كاتب الإفتتاحية وصاحب

مجلة الإعتصام وأحد قيادات الإخوان حذره، إلى حد أن يسمى الليلة التى عبر فيها الشعب عن رفضه لإرتفاع الأسعار بأنها ليلة سوداء. ويضع نفسه فى سلة واحدة مع هذا النظام المرفوض من الشعب فيستخدم ضمير الفاعلين "نا" للتعبير عن الإخوان والنظام الحاكم فى وحدة واحدة:

{رفضتها الأمة ثورة حمراء فكانت ليلة سوداء. نشطت فيها الماركسية من عقالها، وفكت الشيوعية من إسارها بعد أن أعلناها دولة للحريات وأغلقناها سجونا ومعتقلات،وقصفنا قلم الرقيب داخل الجرائد والمجلات}(٨)

أما عباقرة مجلة الدعوة " عمر التلسمانى - صلاح شادى" فيعجزان عن فهم الأحداث ولايجد أن لها سببا سوى أنها"مرض أصاب طوائف الشعب" وبعد أن يجرموا الأحداث وصانعيها، فإنهم يقدمون روشتة الإخوان التى طالما قدموها إلى الحكام وهى تطبيق الشريعة الإسلامية، (كلمة السر التى يختفى تحتها رغبتهم فى الصعود إلى الحكم.}

وفى كل فرصة كانوا يذكرون بأنهم لم يشاركوا فى تلك الأحداث، وأنهم رجال الساعة الذين يجب أن تذلل لهم كل وسائل وإمكانيات الإنتشار عبر الأجهزة الرسمية وغير الرسمية.

لقد كانت فرصتهم لإعتماد عودتهم رسميا، وإتخاذ الحكومة لهم كعصا تتوكأ عليها شعبيا.. وكان أول نشاط علنى لجماعة "شباب محمد" بعد عودتها الجديدة فى سبتمبر١٩٧٦ وبعد توقف نشاطها حوالى ثلاثة عشر عاما هو المبادرة إلى إرسال برقية إلى السيد رئيس الجمهورية، الذى كانت جمهوريته معلقة فى الهواء بلا جمهورية يقولون له فيها:-

ينتهز شباب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ذكرى مولد سيد المرسلين

صلى الله عليه وسلم فيهنئون سيادتكم بهذه المناسبة الكريمة ويدعون لك بالخير ويشجبون حوادث ١٨و١٩ يناير الإجرامية التخريبية ويطلبون حل وإلغاء حزب اليسار لإحتضانه لمبادئ مستوردة هدامة وثبوت بصمات بعض كبار أعضائه فى حوادث هذه الفتنة.} [٩]

هذه البرقية التى كان من الأجدر أن يكون كاتبها وزير الداخلية كمسوغ لحملة اعتقالات واسعة تقوم بها الشرطة ، لا أن يكتبها رئيس جماعة سياسية ضد الشعب ويبعث بها إلى كل الصحف الحكومية، واصفا الجمهور بالإجرام والتخريب وغيرها من الألفاظ التى لم تجرؤ الحكومة على النطق بها إلا بعد أن إلتقطت أنفاسها، وتحسست مقاعدها وقبضت على زمام الأمور.!!

وقد وجد الإخوان المسلمون أحداث ١٨و١٩ يناير فرصة للمناداة بتطبيق الحدود:

{ فى إقامة حد الله أمن للمجتمع وتطهير للجانى.} [١٠]

ويعرض المقال لحدود:- الحرابة عقابا على جريمة قطع الطريق والسرقة والزنا والشرب ثم يعطون للحاكم التعزير ليتخذ به إجراءات العقاب الاستثنائية.

لقد كانوا يريدون توقيع أقصى أحكام ممكنة ضد اليسار ، فزينوا للحاكم فكرة الخوض فى نهر الدماء مستخدما سلاح الحدود الإسلامية.

ولقد أصيبوا بخيبة أمل كبيرة حينما إقتصر الأمر على سجن قيادات الأحداث لفترات قصيرة، وبعد سنوات حينما صدرت أحكام قضية "يناير" نشرت مجلة الدعوة مقالا يفضح مشاعرهم:{ لعلنا نذكر أحداث

١٨و١٩يناير١٩٧٧ فى مصر والتى أطلق عليها إنتفاضة الحرامية والتى نسبت وقتها إلى الشيوعيين المحليين ونذكر ماصاحبها من قتل وتخريب. بعد ثلاث سنوات من المحاكمة المتراخية أمام المحاكم العادية صدرت الأحكام منذ زمن قريب وكانت أقصى العقوبة ثلاث سنوات سجنا. ونحن لانعترض على ماتم ولانستقل مدة العقوبة ولا نتهم القضاء.} (١١)

والنفى المستخدم فى المقال السابق هو نفى الاثبات كما يقولون، فكل شئ يشير إلى أنهم يعترضون على الأحكام ويوعزون إلى قرائهم أن مدة العقوبة كانت قليلة جدا ويتهمون القضاء.. لقد كانوا يريدون أقصى العقوبة فور وقوع الأحداث وليس بعد ثلاث سنوات من المحاكمة أمام المحاكم العادية، يعتبرون السجن ثلاث سنوات تراخيا وهم الذين كانوا يصرخون من وطأة السجون.. ولكنهم هنا يسخرون من تقديم العمال والطلاب والمثقفين للمحاكم العادية ، فهل كانوا يريدونها محاكم عسكرية تنصب المشانق مرة أخرى..؟؟؟

وظل شبح يناير هو العفريت الذى يلوح به الإخوان لضرب اليسار.. يذكرون به الحكومة فى كل موقف.. ويطالبون بحرية أوسع لحركتهم.. ومنذ فبراير١٩٧٧ ، إنطلقوا يدعمون مراكزهم فى الجامعة والنقابات المهنية يجتذبون كوادر جديدة - تخرج فى ذلك العام والأعوام التالية صفا جديدا من القيادات الشابة خاضوا به إنتخابات إتحاد طلاب الجامعة، ثم إنتخابات النقابات المهنية ثم إنتخابات مجلس الشعب.

وكان الإخوان حريصين فى أحداث يناير على تذكير قواعدهم الشبابية التى ربما تعجبها الأحداث وتشارك الإنتفاضة الشعبية حمايتها، بتحذير"

حسن البنا :-

{ أيها الإخوان المسلمون وبخاصة المتحمسين المتعجلين منكم : ألجموا نذوات العواطف بنظرات العقول، وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع واكتشفوا الحقائق فى أضواء الخيال الزاهية البراقة ، ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة، ولاتصادموا نواميس الكون فإنها غلابه ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها واستعينوا ببعضها على بعض وترقبوا ساعة النصر وماهى منكم ببعيد.} (١٢)

كما نشرت الدعوة بيان الجماعة الإسلامية الذى وزع داخل الجامعة عقب الأحداث تحت عنوان الجماعات الإسلامية تحذر:

{ أخى المسلم .. إن يدا خبيثة تمتد فى الظلام لتنتزع منك ماحققته من مكاسب ولترفعك قسرا إلى طريق ما أبعده عن مسارك وهدفك، ولتجرك جرا إلى صدام طائفى مفتعل غريب عنك وعليك.. لاترضاه ولا يرضاه الله لك.. يا أخى كن حذرا وإياك والحماس الأعمى فإنه يسلب العظماء أقدارهم.. نعم إن الله لايرضى الظلم لعباده، ولا يرتضى لهم السير فى الظلام وبعيدا عن البينة.. فتبين يا أخى ما يكاد لك.. ومايراد بك ولا تحقق للعملاء أغراضهم.

أمين الجماعة

خالد داود.} (١٣)

وإذا كان فخر الإخوان المسلمين الأكبر أنهم لم يشاركوا فى الأحداث التى هب فيها الشعب كله ضد القرارات الحكومية المتعنتة.. وأنهم بسطوا أياديهم إلى الحاكم وأجهزة الردع يطالبونهم بإتخاذ أقصى الإجراءات ضد

هذا الشعب المتمرد.

فإنهم سرعان مانالوا النتيجة التى كانوا يرجونها من ترك الفرصة لهم للنمو والإنتشار من جديد.. حيث تركت لهم الحكومة هوامش عديدة لحرية الحركة.. وشهدت السنوات التالية لعام ١٩٧٧ تخرج عدد كبير من كوادرهم الطلابية.. فدفعتهم قيادة الجماعة إلى خوض معارك الإنتخابات النقابية فى النقابات المهنية " الأطباء- المهندسين - التجاريين".. كما دخل عدد منهم فى المشروعات الاستثمارية وكونوا ثروات هائلة، مثل أمين الجماعة الموقع على بيان إتحاد الطلاب السابق ، والذى أصبح بعد ذلك صاحب شركة مقاولات كبرى تنشر صوره فى أجهزة الاعلام جنبا إلى جنب كبار الرموز الرأسمالية.

اضراب الحديد والصلب يثير بركان الكراهية

فى ٢ أغسطس١٩٨٩.. انفجرت أحداث الحديد والصلب بحلوان.. وفوجىء الجميع بأنباء إعتصام عشرة آلاف عامل، تعاملت معهم قوات الشرطة بوحشية شديدة.. بدأت باقتحام المصنع فى الخامسة من فجر الأربعاء ٣ أغسطس، ودخول المصفحات من أبواب الشركة الخمس، مع اطلاق النيران وقنابل الغازات المسيلة للدموع وغازات الأعصاب.. ثم إقتحمت القوات الخاصة عنابر الإنتاج واشتبكت مع العمال فى معركة ضارية كانت نتيجتها مقتل العامل " عبد الحى السيد" وإصابة ستة عشر عاملا بالإضافة إلى اعتقال مايقرب من ستمائة عامل.. وكانت مطالب العمال بسيطة.. بسيطة.. ولكنها تكشف فساد الإدارة الذى أشارت إليه تحقيقات النيابة أيضا.

كان العمال يطالبون بعودة عضوى مجلس الإدارة المنتخبين والإفراج عن أربعة من العمال سبق اعتقالهم وإقالة رئيس مجلس إدارة الشركة ونائبه بالإضافة إلى حل اللجنة النقابية وإجراء انتخابات جديدة.

ولما لم تجد مطالبهم أى استجابة دخلوا فى إعتصام يشف عن روح تضامنية عالية.. ومقدمات هذا الإعتصام بدأت عقب إنتخاب أعضاء مجلس إدارة الشركة عن العمال وهم :

محمد مصطفى . نقابى

هريدى عبد الرحمن. نقابى

مصطفى عبد الهادى أمين لجنة حزب العمل بالتبين وعضو بجماعة الإخوان المسلمين

وجمال لجيب تيار إسلامى.

وبدأت مصادمات الأعضاء الجدد مع رئيس مجلس الإدارة منذ ديسمبر١٩٨٨، عندما قدموا مذكرة تطالب بتطوير حوافز العمال.. ويبدو أن هريدى ومصطفى كانا قطبا المعارضة لرئيس مجلس الإدارة.. فصدر قرار من وزير الصناعة بتجميد عضويتهما، فلجأ الإثنان الى القاعدة العمالية صاحبة الحق فى إنتخابهم، وصاروا لحمة واحدة فى مواجهة الإدارة وخاضوا معا اعتصاما محدودا بقسم المحولات بالشركة.

وإنحاز "مصطفى عبد الهادى" ، "جمال لجيب" إلى صف الإدارة فى موقف معادى للعمال الذين انتخبوهما.

وفى مساء ٧/٣١ دعت الإدارة لاجتماع حرم منه العضوين مصطفى وهريدى، ووجهت الدعوة لمصطفى عبد الهاد العضو الثالث فى اللجنة، ولأسباب مرضية لم يتمكن من المجئ ولم يحضر من العمال المنتخبين سوى جمال لجيب العضو الإسلامى.

لكن العمال رفضوا نتائج هذا الإجتماع وخاضوا تجربة الاعتصام الأول الذى حدث يوم وقفة عيد الأضحى.

وقرر مجلس الإدارة إتخاذ تدابير جديدة فعقد إجتماع خارج المصنع بشارع عبد الخالق ثروت استدعى فيه جمال لجيب فقط وللمرة الثانية رفض العمال نتائج هذا الاجتماع لعلمهم أنها قرارات تسويفية، وطالبوا بإقالة رئيس مجلس الإدارة واللجنة النقابية ودخلوا فى اعتصامهم الثانى الذى

فضته الشرطة بشراسة واضحة.

وأدلى جمال مجيب بتصريحات شديدة العداء إلى الصحف الحكومية عقب المذبحة الدامية لإقتحام المصنع. ومن الأفضل أن نعرض هنا لكلام جمال مجيب نفسه وقد برزت صورة لحيته وزبيبته:

{وإلتقت الأخبار مع جمال مجيب محمد عضو مجلس الإدارة المنتخب بشركة الحديد والصلب بحلوان فى منزله بمساكن الخبراء بمدينة الصلب بالتبين[١٢] (ملحوظة كان العمال زملاؤه فى هذا الوقت إما فى السجن أو فى المستشفى) - روى للأخبار قصة الإعتصامين الأول الذى حدث يوم وقفة عيد الأضحى والثانى الذى حدث ظهر الثلاثاء الماضى، والدور الذى قام به عضوا مجلس الإدارة المحرضان لإثارة الشغب بين العمال .

ويعترف جمال فى هذا الحديث بأنه الوحيد الذى حضر إجتماع رئيس الهيئة فى القاهرة بعيدا عن الشركة، مما يعنى أنه فى الوقت الذى كان يحظى بثقة الإدارة ويدعى لاجتماعى لايرضى العمال بنتائجهما.. كان مرفوضا من العمال.

وقد وجهت الدعوة إلى العضو الإخوانى الآخر(مصطفى عبد الهادى) ولكنه كان مريضا فلم يتمكن من الحضور، وإن كان لم يبخل بشهادته المعادية للعمال وللإضراب فى التحقيق الذى أجرى معه وفى المحكمة أثناء نظر قضية الحديد والصلب. وهكذا أكدت تلك التجربة القصيرة نفس النتيجة القديمة التى تؤكد على عداء الإخوان المسلمين لفكرة توحد العمال وتضامنهم وإستخدام أسلحتهم الجماعية فى مواجهة الإدارة والحكومة والقوانين.

وربما يقدم الإخوان بعض الأعمال الخدمية الصغيرة.. وربما يحاولون التزلف إلى العمال وإجتذابهم.. لكن الأحداث الكبرى سرعان ماتكشف حقيقتهم. وليس أدل على ذلك من عضو الإخوان المسلمين الذى كان يدبر مع مجلس الإدارة وسائل فض الإضراب، ويردد إشاعات ضد هريدى ومصطفى بغرض إظهارهما فى صورة سفاحين حينما إدعى أنهما {هددا بالتوجه إلى خزان تجميع الغازات الذى يغذى محطة كهرباء التبين وخطوط إنتاج المصنع وتفجيرها.ويحتوى هذا الخزان على غازات سامة وخانقة،مما كان سيؤدي إلى دمار منطقة الصف إلى المعادي ، لولا أن أدرك المسئولون بالشركة نواياهما وقاموا بتحويل خط الخزان إلى مواسير فرعية تجنبا لحدوث الكارثة.} (١٤)

ولقد برئت النيابة العضوين وجميع العمال من تلك الإشاعات.. وأوضحت التحقيقات سخف مثل هذه الفكرة وإستحالة تحقيقها وخرج العمال من السجن خلال أقل من شهر.. ليسحبوا ثقتهم من العضو الملتحى.. المنتمى إلى الإخوان المسلمون.

أما صحافة الإخوان المسلمين فراحت تؤكد على مواقفها القديمة من رفض لأساليب الإضراب والإعتصام وغيرها، بل راحت تغازل الشرطة حتى يطمئن جانبها إلى " عقل" الإخوان وقلبهم المحب للنظام.

والمقال المنشور فى مجلة لواء الإسلام ظل يدور حول :

- نفى أى صلة لهم بالأحداث العمالية.
- تحذير الأمة من خطورة التحركات العمالية والدعوة إلى تدارك الأمر {قبل أن يفوت الأوان} (١٥)

وقبل { إنتقال ماحدث فى حلوان إلى غير حلوان} (١٦)

- تحريض الشرطة ضد العمال ومغازلة هذا الدور القمعى المقوت { إن دور الشرطة لكبير وعظيم وحين يكون أداء الدور على الوجه المأمول والمطلوب تستطيع الشرطة أن تحقق أكبر المساهمات فى وحدة الصف وإنتشار الأمن وتأكيد العدل والإنصاف} (١٧)

ويذكرنى هذا بتعليق " مدحت محفوظ" نائب مجلس الشعب عن دائرة المحلة وعضو الإخوان المسلمين الذى وقف يقول عن العمال الذين نقلوا من مواقع عملهم وشتتهم الإدارة فى مصانع أخرى:-

{ ثبت أن مجموعة الأسماء أخذت بشكل أكد فيه أن أجهزة الأمن لديها معلومات عن هذه الأسماء من مصادرها السرية. وأن عددا من هذه العناصر سبق ضبطه وبعضهم من العناصر الماركسية..} (١٨)

وأكد أنه { ينبغى أن يكون هناك حس سياسى لتدارك الموقف.. فأحداث الأمن المركزى ليست بعيدة عن الأذهان لذا فأنا أرجو الحكومة أن تتدارك الأمر فورا.} (١٩)

وفى تلك التصريحات الفريدة من نوعها التى يهاجم فيها نائب سكان منطقته بشكل مكشوف ، ويستدعى الدولة والأمن عليهم، ولسان حاله يقول: الحمد لله أن تمكنت أجهزة الأمن من القضاء على العمال قبل أن يتمردوا..!!!

***

وهكذا نجد أحداثا كثيرة مرت.. قديمة وحديثة.. راكمت سجلا شديد السواد للإخوان المسلمين ضد الطبقة العاملة.. سجلا يمتلئ بحوادث كسر الإضرابات وإستعداء السلطات ضد الحركة العمالية والتحالف مع الحكومات

المختلفة.. كل ذلك من خلف ستار الدين والشعارات الإسلامية واللحية والهدوء المزيف...!!!

هامش أحداث الحديد والصلب

الإخوان المسلمون وأحداث الحديد والصلب:-

بعد مقدمة تدعو إلى مواجهة الحقائق:

{نقول هذا بمناسبة مأساة الحديد والصلب فى حلوان، وبعد أن اتضح أن أجهزة الأمن قد أخطأت الحسابات، وإن كانت ليست بالمرة الأولى التى تخطئ فيها أجهزة الأمن حساباتها. وأكبر دليل على خطأ أجهزة الأمن فى العلاج والمواجهة وتقويم النتائج وتحمل المسئوليات أن اللواء ذكى بدر وزير الداخلية بعد أن إتضحت كل الأبعاد ووضحت كل الخفايا راح يلقى اللوم على الآخرين ومن بينهم الإخوان المسلمون متهما إياهم بأنهم هم المحرضون والمثيرون ليتهرب من تحمل النتائج ويهرب من مواجهة النتائج والمسئوليات كما يقول واقع الحال رهيبة ومأساوية سواء كانت سفكا لدماء الأبرياء أو إزهاقا لأرواح المظلومين أو تثكيلا ويتما للنساء والأطفال أو تخريبا للبيوت والمصانع والإنتاج واقتصاد الدولة.

واللواء زكى بدر رفع شعار مواجهة الحدث قبل وقوعه وهو شعار براق وجذاب ومطلوب ومرغوب حين يعنى تتبع الأسباب من خلال دراسة واعية وعلاجها، ونزع فتيل الغضب والثورة من النفوس والقلوب قبل أن يشتعل وذلك بالنظر فى حاجة المحتاج وتتبع مظلمة المظلوم وانصافا لصاحب الحق ومؤاخذة المسئول الذى يجلس فى كرسيه العاجى لايحس معاناة الناس وآلامهم أو القيادات المتربعة فى مقاعدها لاتعى دورها، أو لاتدرك

مسئولياتها جهلا ومن ثم فلا تنهض بواجباتها. إنما يعنى شعار مواجهة الحدث قبل وقوعه إطلاق الرصاص على الضحايا فى الشوارع أو العمال فى المصانع فلا نحسب إلا أنه شعار لايؤدى إلا إلى المزيد من الكوادث والعديد من المآسى، وإنتقال ماحدث فى حلوان إلى غير حلوان وعلى رافعيه أن يراعوا الله فى هذا البلد فيسارعوا بمراجعة المفاهيم والمواقف والأساليب قبل أن يفوت الأوان، كان بالود أن يتحمل اللواء زكى بدر نصيبه كاملا من المسئولية، وأن يحمل إدارة المصنع ووزير المصانع نصيبهم كاملا. من المسئولية وأن يتعرض لدور قيادات عمالية تقاعست عن أداء دورها فيحملها نصيبها من المسئولية.

إن الإخوان المسلمين لايعرفون الإثارة ولكن يغضبون غضبة المسلم للحق، ويحسون ألم المظلوم وقد عانوا الظلم سنوات وسنوات.. ويدركون تماما حق هذا البلد ومصالحه على الجميع.. ومن ثم فهم حريصون كل الحرص على مصالحه ومرافقه ومصانعه وجميع قطاعات شعبه ومنها بالطبع العمال والشرطة..}

وفى النهاية فقرة بالبنط الأكبر:

وإن دور الشرطة لكبير وعظيم.. وحين يكون آداء الدور على الوجه المأمول والمطلوب تستطيع الشرطة أن تحقق أكبر المساهمات فى وحدة الصف.. وإنتشار الأمن وتأكيد العدل والإنصاف.

أبو طارق

هزيمة جديدة للإخوان المسلمين

تلقى التيار الإسلامى والإخوان المسلمون على وجه الخصوص - بصفتهم محترفى إنتخابات - هزيمة واضحة فى إنتخابات النقابات العمالية الأخيرة (اكتوبر١٩٩١) وخسروا مواقع عمالية ظنوا أنهم قد نجحوا فى إقتحامها الدورة الماضية.

بينما ظلت المواقع التى رفضت وجودهم على موقفها الرافض لهم.

وبرغم الظروف الإستثنائية التى جرت فى ظلها الإنتخابات الجديدة ، حيث يسود الأوساط العمالية قلق شديد من تطبيق لائحة قانون الأعمال الجديد الذى يعطى الإدارة وأصحاب العمل الحق فى فصل العامل مرة أخرى، وتحويل القطاع العام إلى شركات قابضة قطاع خاص، مع حرية الإدارة فى تحديد الأجر والأرباح والحوافز... فباتت كل الحقوق العمالية المنتزعة من قبل مهددة بالإنهيار، وشعر العمال إزاء هذا الخطر القادم أن فى حبل المعارضة بعض النجاة، وانتخبوا عددا كبيرا من القيادات العمالية المعارضة.. إلا أنهم لم يعتبروا التيار الإسلامى والإخوان المسلمون ضمن هذه المعارضة التى يمكن أن تدافع عن حقوقهم وقت الخطر.

انتخب العمال ممثلى اليسار فى كثير من المواقع العمالية فى شبرا الخيمة وحلوان، كما انتخبوا قيادات ذات نزعات نقابية وخدمية صرفه، وأسقطوا بعض الرموز الإنتهازية الصفراء لأول مرة فى تاريخ تلك النقابات لظروف استثنائية أدت إلى التكتل العمالى خلف النقابيين الشرفاء، ومن بين أكثر

من ١٦٧٥ لجنة نقابية تتكون كل منها من إحدى عشر نقابيا لم يحصل التيار الإسلامى والإخوان على وجه الخصوص على شئ يذكر منها.. ربما حصلوا على بعض المواقع ولكنها من الأقلية بحيث لا تمثل إلا نسبة ضئيلة بالمقارنة مع النسبة التى حصل عليها النقابيون اليساريون.. ويكاد وجودها يتلاشى بالنسبة لماحصل عليه النقابيون التقليديون.

وظلت منطقتى شبرا الخيمة وحلوان أكبر المناطق العمالية وأكثرها تركيزا، دون وجود إخوانى يذكر.

وفى كفر الدوار دارت معركة شرسة بين الإسلاميين والقيادات العمالية اليسارية إنتهت بفوز قائمة اليسار.

أما فى الاسكندرية فقد حصلوا على نسبة أعلى من المواقع الأخرى.

وإذا حاولنا تتبع الصورة بدقة أكبر فسنجد أن منطقة شبرا الخيمة بشركاتها العملاقة مثل وولتكس - شركة الكابلات - شركة سابى- شركة المقاولات المصرية- شركة المطاحن - شركة البطاريات- شركة الدلتا للصلب - شركة أنابيب البترول- شركة اسكو للغزل والنسيج- شركة النشا والجلوكوز.. جميعها لم ينجح فيها التيار الإسلامى.

وعلى العكس من ذلك نجد العديد من العناصر اليسارية التى إكتسحت تلك الإنتخابات بجوار العناصر النقابية الشريفة والصفراء.

***

وفى منطقة حلوان الصناعية سنجد مصنع الحديد والصلب (٢٢ ألف عامل)- مصنع نسيج حلوان (٢٠ ألف عامل)- مصنع الكوك والكيماويات(١٥ألف عامل)- مصنع مطروقات الصلب(٤ آلاف عامل)

مصنع النصر للمواسير(عشرة آلاف عامل)- شركة التركيبات والخدمات الصناعية- مصنع سيماف لصناعة عربات السكك الحديدية(٨ آلاف عامل) مصنع معدات الغزل والنسيج بحلوان - مصنع أسمنت حلوان - مصنع اليابات المصرية- بالإضافة إلى مجموعة المصانع الحربية وتضم أكثر من خمسين ألف عامل جميعها أيضا لم ينجح فيها التيار الإسلامى .. بينما نجد الكثير من العناصر اليسارية.

ولم يشذ عن تلك النتيجة سوى مصنع النصر للسيارات (١٥ ألف عامل)، فقد حصل الإسلاميون على خمسة مقاعد.. وهى أعلى نسبة إستطاعوا تحقيقها فى منطقة حلوان.

***

فى الاسكندرية إدعت جريدة الشعب نجاح الإسلاميين فى معظم المواقع، ولكن النظرة القريبة للأمور توضح أنه نجاح نسبى وليس إكتساح حيث نجد العديد من المواقع العمالية التى لم تعط أصواتها للإسلاميين مثل شركة النشا والخميرة ، والشرقية للأقطان، ومضارب الأرز ، وشركة إيكا ، وشركة الملح والصودا ، والشركة التجارية للأخشاب.. على الرغم من أن الإسلاميين حاولوا بث دعايتهم عن طريق المساجد وتربيط العلاقات وغيرها من الوسائل.

أما فى شركات : الاسكندرية للحلويات فقد نجح بعضهم.

وفى مصر للكياويات فاز إثنين من العناصر الإسلامية بمجلس الإدارة وخمسة فى النقابة.

وفى شركة السيوف للغزل والنسيج فاز ثنمانية من مرشحى التيار الإسلامى.

وفى شركة النحاس المصرية، لم ينجح منهم أحد فى النقابة بينما فاز أربعة مهندسين إسلاميين فى مجلس الإدارة.

وفى قطاع البترول فاز العديد من الإسلاميين.. ومن الملاحظ أن للإخوان المسلمين وجود قديم فى النقابات البترولية.. وربما نذكر محاولات الإخوان لترسيخ نفوذهم فى نقابات عمال البترول وأنهم كانوا فى عام {١٩٥٠/١٩٥١ يحرضون نقابات عمال البترول على مقاطعة اللجنة التحضيرية للإتحاد العام ويمنعون شبابهم من المشاركة الوطنية فى معركة القنال.} [٢٠]

ويرجع البعض سبب إتساع نفوذ الإخوان المسلمين فى النقابات البترولية إلى كونها أقرب فى طبيعتها إلى نقابات المهنيين ، حيث تجمع عددا كبيرا من شركات الخدمات البترولية، وأن العاملين فيها أقرب إلى الطابع المهنى منهم إلى الطابع العمالى.

ومن المؤكد تاريخيا أن تلك النقابات البترولية اشتركت فى أعمال رجعية منها محاربة فكرة الإتحاد العام التى كانت بمثابة حلم عزيز المنال لكل فصائل الطبقة العاملة المصرية.

والنتيجة الأخيرة للإنتخابات العمالية فى الإسكندرية هى إحراز الإسلاميون بعض النجاح هناك، وإن لم يكتسحوا كماحاولت الدعاية الإسلامية أن تصور الأمر..

***

وفى المحافظات الأخرى نقدم بعض المواقع العمالية التى توافرت أخبارها عن طريق متابعة المعركة الإنتخابية من خلال الصحف المختلفة لتلك الفترة.. وخصوصا صحف المعارضة وصحيفة الشعب ذات الرطانة الإسلامية.

فنجد فى محافظة بنى سويف نجاح بعض الإسلاميين فى شركة الغزل، كما نجح بعض النقابيين التابعين تاريخيا لحزب العمل وفى محاجر الحديد بالمنيا لم ينجح منهم أحد، وفى شركة الأسمنت بأسيوط لم ينجح منهم أحد، ونفس الشئ فى مصنع السكر بقوص وفى شركة سكرجرجا بسوهاج.

أما فى مجمع الألومونيوم بنجع حمادى فنجد الشيخ يوسف حافظ فى مجلس الإدارة.

وهكذا نجد وجودا ضعيفا بل يكاد يكون هامشيا للإسلاميين فى مصانع الصعيد، على الرغم من ضجيج الجماعات الإسلامية فى تلك المحافظات وإنتشارهم بجامعاتها ومدنها ، إلا أن تأثير ذلك الضجيج ضعيف جدا على الطبقة العاملة ولسان حالها يكاد يرفض الإندراج تحت رايتهم.

***

وفى محافظات الوجه البحرى الأخرى فنجد بعض التجارب المرة التى أثرت على وجود الجماعات الإسلامية فى المصانع التى جربتها خلال الدورة الإنتخابية الماضية.

ففى محافظة الدقهلية - فى شركة النصر للأسمدة والصناعات الكيماوية بطلخا- كون الإسلاميون عبر بعض التحالفات قائمة أخذت إسم القائمة الاسلامية خلال الدورة النقابية الماضية، ونجحت تلك القائمة ، لكنها لم تهتم بمصالح العمال على الإطلاق وتورطت فى بعض الفضائح مثل

فضيحة معرض السلع المعمرة والموتوسيكلات حيث اتفقت النقابة مع بعض الجهات على إقامة معرضا بالشركة وبيعها بالأجل وخصم القيمة المطلوبة من مرتب العمال، وحدثت تجاوزات كثيرة من أعضاء النقابة طالت ذممهم المالية.. فضلا عن الأعباء الجسيمة التى حملوها للعمال بطريقة البيع بالأجل وتسليم أجور العمال كاملة لشهور طويلة لهؤلاء التجار وتمكينهم من امتصاص دماء العمال وأسرهم. وكانت نتيجة تلك التجربة القاسية أن رفض العمال كل الرموز الإسلامية فى الدورة الإنتخابية التالية (اكتوبر١٩٩١) وأعطوا أصواتهم لمرشحى اليسار.

ومن الجدير بالذكر أن نشاط النقابيين الإسلاميين ينحصر فى تنظيم رحلات العمرة والحج، وإقامة معارض مختلفة، وفى أحسن الحالات عمل بعض الخدمات فى مجال المواصلات وحالات دفن الموتى أو مايسمى بدلات المرض والوفاة أما فى الأحداث الكبرى.. فى المواجهة مع الإدارة.. فى الصراع مع النقابة العامة والحكومة والشرطة والقوانين الجائرة.. لاتجد القاعدة العمالية أحدا من الإسلاميين بجوارها.. يتلاشون كالبخار ويطيرون إلى الجهة الأخرى.. جهة الإدارة وأصحاب الأعمال.

***

إن الصورة السابقة هى متابعة لماتوفر من معلومات عن الإنتخابات النقابية فى جريدة الشعب ذات العمامة الإخوانية والتى كانت تبالغ فى قوى التيار الإسلامى قبل وأثناء الإنتخابات .. ثم جاءت النتائج لتخذلها.

وقد حاولت مقارنة معلومات جريدة الشعب ببعض الجرائد الأخرى، فكانت تلك الصورة التقريبية التى توضح مدى هزال التواجد الإخوانى فى

الأوساط العمالية.. بل وتراجع هذا الوجود فى بعض المواقع التى جربتهم وهناك مواقع أخرى كثيرة لم تكتب عنها الجريدة لإنه لم يكن لهم وجود فيها على الإطلاق.. وبرغم النداءات المتكررة التى وجهتها الجريدة إلى العمال:

" ياعمال مصر خذوا الكتاب بقوة".

"ياعمال مصر غيروا ما بأنفسكم" وغيرها من العناوين الطنانة والتى حاول فيها" أمين العمال بالحزب" أن يحشد كل الرطانة الإسلامية ويسب عموم الأوضاع والسياسات الخارجية للدولة، إلا أن نداءاته لم تجد صدى قوى وسط الطبقة العاملة لأن تجربتها القريبة علمتها درسا قاسيا عمن يكون الإخوان المسلمون..؟ وماذا يريدون..؟

هوامش

الفصل الثالث

١ - الاعتصام- العدد السادس ذو الحجة ١٣٩٤هـ /.يناير ١٩٧٥و السنة السابعة والثلاثون ص ٢٨.

٢ - نفس المصدر.

٣ الاعتصام- العدد الثامن شوال ١٣٩٥هـ تكتوبر ١٩٧٥ السنة ٣٨.

٤- الاعتصام العدد العاشر السنة الثانية والأربعون شوال ١٣٩٥هـ سبتمبر١٩٧٩.

٥- الدعوة- العدد ١٠١٩ السنة ٢٦ ديسمبر ١٩٧٧ ص١٤.

٦- الدعوة نفس المصدر.

٧- الاعتصام - فبراير ١٩٧٧ - العدد السادس السنة الأربعون انظر أيضا دروس ١٨و١٩يناير نفس العدد.

٨- الاعتصام- العدد السابع ربيع أول ١٣٩٧هـ مارس ١٩٧٧ السنة الأربعون .

٩- الدعوة فبراير ٧٧ بعد الأحداث مباشرة.

١٠- الدعوة العدد التاسع والأربعون السنة التاسعة والعشرون ٤٢٣ يونيو١٩٨٠ ص٦٦.

١١- حسن البنا - مجلة الدعوة السنة الأربعون ربيع الأول ١٣٩٧هـ فبراير ٧٧- العدد التاسع السنة السادسة والعشرون)٣٨٣).

١٢- الدعوة فبراير ١٩٧٧ ص٥١ الجماعات الإسلامية تحذر.

١٣- الأخبار ٤ أغسطس ١٩٨٩ ص ١

١٤- الأخبار ٤ أغسطس ١٩٨٩ ص ٧.

١٥- لواء الإسلام- العدد السادس- السنة الرابعة والأربعون- غرة صفر ١٤١٠هـ/١ سبتمبر ١٩٨٩.

الإخوان المسلمون وأحداث الحديد والصلب- الصفحة الأخيرة.

١٦- لواء الإسلام المصدر السابق.

١٧- لواء الإسلام المصدر السابق.

١٨- لواء الإسلام المصدر الصابق.

١٩- لواء الإسلام المصدر السابق.

٢٠- أمين عزالدين- تاريخ الطبقة العاملة المصرية ص ٧٩٤.

الفصل الرابع

دولة الشدة والعنف

- تشريعات الإخوان
والموقف من الحقوق العمالية

السخرة كم هى مقيتة.. وكم تستدعى من الذكريات الحزينة لماضى العمال الذين كانوا يعملون تحت وطأتها فى العصور السابقة:-

العبودية .. القيود الممتدة إلى كل تفاصيل الحياة.. البؤس- الفاقة.. المرض.. الموت المبكر.. هؤلاء هم رفاق السخرة وأحبائها.

لقد ارتبطت السخرة دائما بالدول الاستبدادية والكلية الجبروت، وكم من الدم الذى أريق فيها وتكدس فى خزائن الملاك مالا.. وماتعلمته من تاريخها الطويل هو التنكر فى أزياء مختلفة، وهى لاتستطيع الظهور على المسرح مرة أخرى إلا وسط حالة من القهر الشديد لأية مقاومة، وخضوع الجميع لهذا العاتى الجبار المسيطر على شئون البلاد، والفارض بحد السيف أفكاره الشمولية.. لاحقوق سوى حقه.. لاحريات سوى حريته..

والسخرة هنا ترتدى زيا إسلاميا..

{إن دولة الإسلام لها أن تجبر الناس على أى عمل كان} (١)

كما يقول إبن تيميمه ويضيف:

{إذا كانت الأمة بحاجة إليه وامتنع الناس عن القيام به} (٢)

ومن المعروف أن الناس لا تمتنع عن أداء عمل إلا إذا كان صعب الشروط ولا طاقة لهم على القيام به ، أو أن يكون ضئيل الأجر، والتاريخ ملئ بقصص العمال الذين سيقوا قصرا تحت سطوة الكرباج أو البندقية، وسقطوا بين المرض والموت، ولو ترك هؤلاء الناس لحريتهم لما ذهبوا إلى الموت.. ولنا أن نتخيل كل أنواع العمل الخطر والمميت وغير الصحى. الذى ستجبر الدولة الإسلامية عمالها على القيام به.. فالعامل عندهم مجرد أداة لإنجاز أى

شئ، وحياته لاتهم طالما لا تكلف جيوبهم شيئا..!!

والعمال لايملكون فرارا من تلك الحالة القهرية.. لايملكون فرارا من هذا الكابوس الضخم الذى يجثم على المجتمع ويتحكم فيه.

وربما يتساءل البعض.. وهل ينعم العمال بالحرية الآن..؟

بالطبع لا.. إنها غير متحققة فى المجتمعات المتقدمة والمتخلفة على السواء.. وضغط الحاجة هو المحدد الأعظم لمكان الإنسان فى المجتمع، وعلى الرغم من كل الظروف الصعبة فإن هناك هامش ضئيل من الحرية يمكن الإنسان من إختيار عمل ومن رفض آخر إذا لم يستطع تحمل مصاعبه.. أما أن يحرم من هذا الهامش أيضا ويفرض عليه كل شئ بمقتضى القانون العام وبصرامة جميع أجهزة القمع.. فهذه هى السخرة بعينها، والدعوة إليها مرة أخرى هى دعوة لجر الطبقة العاملة دهرا طويلا إلى الخلف وحرمانها من أوليات حقوقها ولتبرير هذا المنطق الفج فإنهم يناقشون الأمر وكأنه من الطبيعى أن يظل العمال يحملون عبء الإنتاج عن المجتمع كله.. وكأنه قدر عليهيم أن يكون الفقر من نصيبهم مدى الحياة، فيقولون:-

{ لماذا يحرم الله البعض ويعطى البعض مادامت الخزائن ملأى والأرزاق لاينضب لها معين؟

والجواب على هذا إفتراض معقول هو أن الله تعالى لو منح الخلق أمنياتهم وساوى بين أعطياتهم وجعلهم فى منزلة واحدة والنتيجة والجواب أنه لن يوجد فى الكون زارع ولا صانع لأنى أنا غنى وأنت غنى وغيرك غنى، فلتبر هذه الأرض ولتتعطل المناجم ولتتقوض هذه الحضارة، ولن يكون من نتاج العقول أثير ولا مذياع ولا طائرة ولا سابحة وليخرب هذا الكون

وليمت الناس جوعا وليكن بعد ذلك مايكون.} (٣)

ومنطق الإخوان فى تفسير سبب التفاوت بين الناس فى الثروة والمكانة الاجتماعية هو تفسير كاذب ومفرط فى السذاجة أيضا، فبالاضافة إلى أن الثروة لاتهبط من السماء، بل هى نتاج عمل بشرى إحتكره واستغله وراكمه بشر آخرون.. فإن الإخوان ينحازون إلى جانب الصفوة المالكة إلى الحد الذى يدفع بمنظريهم إلى الإسراف فى التأكيد على هذا المبدأ:

{ أن الله جل شأنه فضل بعض الناس على بعض فى الرزق وجعل بعضهم خدما ومماليك للبعض الآخر.} (٤)

ويقول أبو الأعلى المودودى :-

{ أصبح لزاما أن يكون فى الناس مخدومون وخدم ومستأجرون وأجراء فيتسع بذلك مجال لكسب العيش بالخدمة والأجرة كما يتسع بالزراعة والصناعة والتجارة.} (٥)

ومع كثرة حديث الإخوان عن العمال وضرورة قيامهم بمهام العمل وحمل عبء الإنتاج، إلا أنهم لايعترفون بوجود الطبقة العاملة كجسد واحد ضخم يعيش نفس الظروف ويقوم بأداء نفس الدور الإجتماعى، فى مقابل طبقات أخرى تعيش على ناتج عمله.. فالإخوان يريدون نفى وجود الطبقة العاملة لنفى حقوقها السياسية وحقوقها الاجتماعية والاقتصادية وإلغاء التاريخ الطويل من النضال العمالى وماترتب عليه من مكتسبات.

والحديث عن العامل الذى يستأجره الرأسمالى بما يشاء من أجر ويستغنى عنه وقتما يشاء يهدف إلى زرع روح التفرق والخوف فى صفوف العمال، لتحل محل روح التضامن والتكاتف التى تستدعيها ظروف طبقة مظلومة

ومضطهدة في المجتمع..

ولكن هل يستطيع الإخوان عبر دعايتهم وأفكارهم النظرية نفى وجود الطبقة العاملة فعلا..؟

إن الدعاية لاتغير من حقيقة الوضع الاجتماعى .. ربما تموهه.. أو تضفى عليه سحابة رمادية تهدف إلى تعتيم الرؤية.

الإخوان بفعل القوة والميليشيات المسلحة والقوانين المتعسفة واليفط الإسلامية ونشر روح الخوف والرهبة يستطيعون ردع المجتمع وتسكينه.. ولكنهم لايستطيعون نفى طبقاته مهما كانت الرطانة والدعاية العالية الصوت التى لاهم لها إلا التأكيد على حق الملكية وإكتناز الثروة وسيادة الأغنياء على الفقراء ولذلك يعلن " حسن البنا" فى غير موضع قاعدته النظرية للحفاظ على مصالح الأغنياء والملاك.

{ ليس بيننا وبينهم سوى أداء الزكاة.} (٦)

نعم.. كل الحقوق والحريات لأصحاب الأملاك والمستثمرين والأغنياء فى فكر الإخوان المسلمين.. أما العمال فليس لهم حتى حق النظر أو المقارنة أو التفكير فى صعوبة الوضع القائم ومدى الظلم المترتب عليه:-

{العامل الذى رباه الإسلام لإيحسد صاحب العمل على ما أتاه الله من ثروة ومال، ويرعى مال صاحب العمل لأنه مسئول عن هذا المال، ويحافظ على أدوات صاحب العمل.} (٧)

فالإخوان حزب يتحدث باسم الأغلبية دائما بينما تعمل آلياته لصالح الأقلية الموجودة بالفعل.

حزب يحشد الجمهور الواسع الناقم على الفقر تحت مظلة وعوده الواسعة

ويمهد بهم الطريق لإنطلاق تلك الصفوة المالكة.

نعم.. لن تغتنى كل الجماهير التى صدقت دعاية الإخوان المسلمين وسارت خلفهم بل سيجدون أنفسهم مسخرين لخدمة مايسمى بالثروة الإسلامية العامة، التى ستذهب بعد ذلك إلى الخزائن الخاصة.

و" سيد قطب" حينما ينتقد فى كتاب " العدالة الاجتماعية فى الإسلام" تضخم الثروات إلى حد رهيب، وإغراق البعض فى الملذات والشهوات الداعرة. فإنه لاينتقد الرأسمالية. بل ينتقد إبتذالها ومجونها.. يعتبرها رأسمالية غير رشيدة، لإنها تغرق فى السلوك الإستهلاكى المبتذل وتساعد على دفع الأمراض الاجتماعية وتحفز الفقراء ضد وجود الملكية من الأساس.

إنه يوضح لهم أن الترف المفرط يؤدى إلى الركود الاقتصادى العام.. ويزيد من حدة التضخم، فيصل بذلك الإنتاج الرأسمالى إلى نقطة صعبة لايستطيع فيها تطوير نفسه .. ولذلك فهو يدعو تلك الرأسمالية المتهورة الرازحة فى " المتاع الشهوى الداعر" إلى بعض التعقل.. ويدلها على طريق نجاتها عن طريق تكوين الشركات الكبرى وتشغيل المزيد من الأيدى العاملة، وليس إنفاق الثروة فى النزوات العابرة:

[فإذا كنا حريصين على أن نخلق مشروعات ضخمة تحقيقا لما يسمى "الإنتاج الكبير" ففى وسعنا أن نسن تشريعات لبعض أنواع الصناعات الضخمة نختم فيها ألا يرخص بإقامة مشروع منها إلا برأس مال حده الأدنى كذا.. عندئذ تتجمع رؤوس الأموال بالمساهمة وتخضع لحساب الربح والخسارة فلا تبقى حاجة إلى بنوك غير بنوك الإصدار.

فإذا ماشاءت البنوك الأخرى أن تربح فعليها أن تساهم بأموالها وأموال

المودعين - بعلمهم ورضاهم- فى مشروعات استغلالية تخضع للربح والخسارة.

ولن يمنع هذا تدفق رؤوس الأموال الأهلية والأجنبية لأن معظم رؤوس الأموال لايودع فى البنوك إنما يستغل فى المشروعات.} (٨)

وماجوهر الفكرة السابقة سوى فكرة الشركات الاحتكارية الكبرى التى تقوم فى الغرب الآن.. حيث تتجمع رؤوس الأموال لخدمة الإنتاج الكبير.. مما يدعم الرأسمالية ويوسع الفوارق الطبقية بمالايقاس.

وسيدقطب لايرى غضاضة فى توظيف رأس المال الأهلى جنبا إلى جنب مع رأس المال الأجنبى، ويعتقد أن مشروعاته الكبرى سوف تجتذب تلك الأموال وتدمجها فى الآلة الكبيرة الدائرة التى يحلم بتكوينها.. على عكس مايشاع عن عداء الإخوان المسلمين للغرب،و ويبدو أنهم يعادون الأفكار التنويرية والثورية فيه فقط.. أما رؤوس الأموال فهم يرحبون بها ويفكرون فى وسائل إجتذابها أو الذهاب إليها كلما أمكن.

وسيد قطب يصنع خليطا نظريا قوامه قواعد الإنتاج الرأسمالى فى إطار أشد ظروف عمل ممكنة، وذلك بشد المجتمع كله فى ملزمة من حديد يمسك الحاكم الفرد بأطرافها عن طريق التفويض المطلق بمنحه سلاحين هامين يسميان مبدأ (سد الذرائع) ومبدأ (المصالح المرسلة) التى يحق للحاكم عن طريقها

إلغاء القوانين وسن قوانين أخرى، ويحق له بهما القضاء على الحقوق بما فى ذلك النصاب الهزيل للزكاة (٥ر٢٪) الذى يبنون دفاعهم عن الفقراء بناء عليه فى مواضع الحديث إلى الفقراء، بينما هم فى حقيقة الأمر ينظرون

إلى الزكاة من زاوية متعالية تؤمن فى أعماقها بالحديث الذى يقول:

{إنما هى أوساخ الناس وأنها لا تحل لمحمد ولاآل محمد.} (٩)

وبرغم هذا التعالى المصبوغ بروح الشفقة الكريهة والمؤيدة لكل أوضاع البؤس والفاقة وإستمرار مد أيدى الفقراء إلى السادة الأغنياء.. فإن نزعة رأسمالية حديثة تغازل أحلام زيادة الثروة والملكية لديهم، تجعل أصحاب شعار العدالة الاجتماعية يفكرون فى طرق جديدة تحرم الفقراء حتى من " أوساخ الناس" أو النصاب الهزيل للزكاة ، وتدعو إلى استخدام سلطة الحاكم الفرد لتجميع الزكاة وتركيزها واستخدامها فى إنشاء مصانع ومعامل، كما تستخدم سلطة الحاكم الفرد فى جمع الفقراء البائسين وتشغيلهم فى تلك المصانع بالشروط التى تلاؤمه، فيحق للحاكم ووكلائه تحديد أجورهم، وفى بعض الأحيان يحق له منع الأجر من المنبع بحجة أنه {يحل للسلطان أن يجعل أجر العامل فى المصنع والحقل نسبة معينة من النتاج والمحصول حدها الأدنى كفاية المأكل والمشرب والملبس والدواء والعلاج فى الحدود المعقولة.}(١٠)

وهنا نجد دعوة خطيرة سبقتهم إليها تدابير الرأسمالية الغربية فى أوقات الضنك الشديد، وهى دعوة العمل المكثف مقابل الحد الأدنى من القوت لضمان إستمرار الحياة وإعادة إنتاج قوة العمل من جديد.. مرة أخرى يعود قانون" جون جراى" فى ثوب إسلامى ولحية ومسبحة مرة أخرى تقفز الروح إلى إقتراحه الخاص ببونات العمل وفيها يتلقى العامل بعد قيامه بفترة عمل قاسية ايصالا بأسبوع عمل أو يوم عمل " على حسب المدة التى قضاها" وبعد ذلك يقوم بصرف هذا " البون" للحصول على مايعادله من

السلع الأساسية المحددة له سلفا من شباك الرأسمالى وحلفائه.

فيتجسد بذلك معنى عبودية العمل فى أقصى صورها حينما يحدد الحاكم نوع الطعام الذى يأكله العامل (الفول مثلا وليس العدس)، ونوع الملابس التى يرتديها(الكتان مثلا وليس القطن) ، ونوع الحياة برمتها.. ويتحكم فى أدق تفاصيل حياته اليومية والمعيشية. ومن البديهى أن هناك حدود فى المجتمع الرأسمالى لمعيشة العمال، وأن الملاك فى التحليل الأخر هم الذين يضعون الحدود العامة لوضع الطبقات ونمط استهلاك كل منها حسب قاعدة التحكم فى الأجور والتحكم فى الأسعارو ومع ذلك يبقى هناك هامش ضئيل من الحرية يسمح بالاختيار بين (العدس والفول) وربما أنواع أخرى.. هذا الهامش يقضى عليه ويدمر تماما مع اقتراحات بونات العمل ونسبة الإنتاج. ولنتخيل عامل يتلقى أجره من عين صناعته حسب نسبة معينة يحددها السلطان، أو مايقابل تلك النسبة نقدا دون أن يكون من حق هذا العامل الإعتراض أو المقاومة..!!

وعبر تلك الآلية الصارمة يتفق فكر الإخوان المسلمين مع أسس المجتمع الطبقى الحديث فى وجود الرأسمالية من جهة والعمال من جهة أخرى مع إضفاء مسحة قاتمة تجسد عبودية العمل.

إنهم يصنعون خليطهم الفكرى الخاص بالمحافظة على جوهر علاقات الملكية الحديثة مع إضافة شروط العصور الوسطى الصارمة التى تحكم العلاقة بين الملاك والعمال.

ولتمويه وتغطية جوهر تلك العلاقة الاستغلالية يلجأ الإخوان إلى حيلة ماكرة، فهم يتحدثون دائما فى أبياتهم عن العمال بوصفهم أفرادا متفرقين..

مجرد أجراء يأتى بهم صاحب العمل ويستغنى عنهم كيفما شاء، وفى هذه الحدود يتحدثون عن حسن معاملة الأجير التى تساوى حسن معاملة الخدم بإنهاكهم بالعمل مقابل الأجر:-

{ أصبح لزاما أن يكون فى الناس مخدومون وخدم ومستأجرون وأجراء، فيتسع بذلك مجال آخر لكسب العيش بالخدمة والأجرة كما يتسع بالزراعة والصناعة والتجارة.} (١١)

وفى مقابل العامل .. الفرد.. الأجير.. لا حديث عن حقوق جماعية للعمال، أو دور اجتماعى وسياسى للطبقة العاملة برمتها.. ومن هنا يهاجم الإخوان كل الأشكال التنظيمية التى تجمع الطبقة العاملة وتنظمها وتهئ لها فرصة التكتل فى مواجهة أعدائها. ومنها هجومهم المتفرق على النقابات واتحاد العمال والروابط مع الاتحادات العمالية.

ففى معرض مناقشتهم لموضوع النقابات.. يميلون فى الأغلب الأعم إلي تفريغها من محتواها بحيث تظل مجرد أشكال جوفاء.. ثم يناقشون فكرة تكوين منظمات بديلة تضفى أى إمكانية نضالية لدى العمال.

{ لانستطيع أن نجد فى المجتمع الإسلامى الأول تنظيما نقابيا كتنظيم العصر الحديث لأن صاحب العمل كان يقوم بواجبه تجاه العامل وزيادة ، وكان العامل يؤدى عمله باتقان وإخلاص.} (١٢)

ومع تلك البكائية على نظم العمل فى العصور السحيقة التى يظلل الشك ماجاء فيها من إدعاءات كون صاحب العمل يقوم بواجبه وزيادة تجاه العامل دون أن يكون هناك سندا تاريخيا يثبت تلك الإدعاءات ، فإن موقفهم من النقابات الحديثة لا ثمة غرابة حينما يقولون.

{الإسلام لايعارض قيام تنظيم نقابى شرط أن لاتتنافى مقررات التنظيم النقابى وتعاليم الإسلام.} (١٣)

وشرط تعاليم الإسلام الذى يذكرونه هو شرط فضفاض جدا ويخضع لمزاج من يسمون أنفسهم بمفسرى الإسلام وأولى الأمر، هو إذن قيد غير عمالى يتحكم فيه أعداء العمال.

والنقابات العمالية الحالية لاقيد فيها على المسيحين من العمال. أما تصور الإخوان المسلمين فيؤكد على مبدأ [لاولاية لغير مسلم على المسلم] وبمقتضى ذلك لن يسمحوا بصعود قائد عمالى مسيحى إلى قيادة العمل النقابى بحجة أنه غير مسلم ، وربما يطردون القادة المسيحيين من النقابات أو يضعونهم فى مكانة متدنية.. وبذلك يصيبون هدفين بسهم واحد:- التخلص من المسيحيين والتخلص من المعارضين أيضا إذا تصادف وجود قائد عمالى مسيحى معارض .. ومن يدرى ربما لن يسمحوا بوجود المسيحيين فى أسفل القاعدة النقابية حتى لايجمعهم أى شكل من أشكال التساوى مع رفاقهم العمال المسلمين.

وبهذه الطريقة سيدمر الإخوان الجسم الحالى للنقابات .. ثم يشرعون فى بناء نقابات بديلة يسمونها { نقابات المنتجين} كبديل للنقابات العمالية. وهى نقابات تضم أصحاب الأعمال والموظفين والمهنيين والعمال.. فيجمعون المتناقضات فى سلة واحدة.. وبذلك يفرغون النقابات العمالية من محتواها الفكرى والاجتماعى ويشلون قدرات العمال النضالية.. إن النقابة ليست هدفا بل هى تكتل جماعة متجانسة المصالح لتضغط على جماعة المصالح المضادة لها .. وبذلك تحقق وظيفتها فى الدفاع عن أعضائها وحمايتهم

وإنتزاع حقوقهم.. أما أن تجمع النقابة صاحب العمل والإدارى والعامل فى جسم واحد.. فعن أى مصالح تدافع مثل هذه النقابة.. عن مصلحة صاحب العمل.. أم عن مصلحة الإدارى. أم عن مصلحة العامل وهى متناقضات لايمكن الجمع بينها بهذا التصرف الشكلى.. وبالطبع ستذهب كل الإمكانيات إلى الأقوى.. والرأسمالية مدربة منذ نعومة أظفارها على أعمال الحيل والمؤامرات وغيرها من الأساليب.

إن المستفيد الوحيد من الشعار الذى يرفعه الإخوان المسلمون { لاتمييز بين المهنيين والعمال، ولا فوارق طبقية بين منظم أو منتج.} [١٤]

هم الرأسماليين بكل مالديهم من قوى مادية وحنكة ودراية بفنون الغش.. فأى كارثة يمكن أن تحل على العمال من جراء التسوية الشكلية بين غير المتساويين.. وأى إهدار لكل التاريخ السابق.. وكل الحقوق التى حصلوا عليها بالدم، والتى يمكن أن يحصلوا عليها إذا واصلوا النضال ككتلة عمالية تعى حقيقة دورها فى سير عملية الإنتاج، وفى مجمل الوضع الاجتماعى.

وإذا كان هذا هو موقفهم من النقابات.. فما رأيهم فى الإتحاد العام للعمال.. وهو نتيجة للبناء النقابى الواسع..؟

يذكر إتحاذ العمال الحالى للإخوان المسلمين أنهم كانوا ضد قيامه، وأنهم اتفقوا مع ضباط ثورة يوليو فى كل محاولات عرقلة قيامه.. حتى اضطر هؤلاء الضباط تحت الضغط العمالى إلى تأسيسه عام ١٩٥٧.

والآن يطالب الإخوان المسلمون بقطع صلة الاتحاد المصرى للعمال بمنظمات العمل الدولية واتحاد النقابات العالمى بحجة أنها منظمات يهودية ولا يصح

أن يكون للعمال المصريين صلة بها.

{فالأيديولوجية المسيطرة على الاتحادات العمالية الدولية واحدة وبصمات اليهودية واضحة الأثر.} (١٥)

وكبديل لاتحاد العمال العالمى تتبنى مجلة الدعوة فكرة إنشاء " اتحاد عالمى للعمال المسلمين. أو الاتحاد الإسلامى الدولى للعمال."

وتقترح لسرعة تنفيذ هذا الإقتراح توسيع الإتحاد الدولى لنقابات العمال العرب ليكون هو البديل عن الإتحاد العالمى.

وكما يقولون بدأت مناقشة هذه القضية باتصال بين عموم عمال باكستان وبين الإتحاد الدولى لنقابات العمال العرب فى جنيف فى يونيه ١٩٧٦ أثناء إنعقاد مؤتمر العمل الدولى.

ووجهت مجلة الدعوة الناطق الرسمى باسم الإخوان المسلمين- نداء إلى الكتاب الإسلاميين للإفتاء فى هذا الموضوع، لكن يبدو أن الكتاب الإسلاميين كانوا يفتقدون شهية الإفتاء فجاءت الأعداد التالية للمجلة خلوا من مناقشة هذا الموضوع.

ومن أجل مسح ذاكرة النضال العمالى الجماعى، وقطع كل صلة له مع الإرث الثورى.. نجدهم يسخرون فى صحفهم من فكرة الإحتفال بيوم عيد العمال ويطالبون بعدم الإحتفال به بحجة أنه عيد أجنبى ولا يحل للمسلمين الإحتفال به وكأنه لاتاريخ مشترك.. لا عذاب مشترك.. ولا حقوق مشتركة أيضا بين العمال المصريين وعمال العالم.. وربما يهدفون من طرف خفى إلى محو تلك الحقوق التى حصل عليها العمال المصريين بمقتضى ضغط الحركة العمالية العالمية.. وهذا هو بيت القصيد إنها سلسلة لا تنتهى من ضياع

الحقوق تطول كل شئ حتى مستوى الأجور وعدد ساعات العمل وكمية الجهد المبذول.

فمعنى أن يصل الإنسان إلى حدود العمل القصرى ويفقد كل وسائل دفاعه عن نفسه وعن شروط عمله.. معنى ذلك أن تنحدر شروط العمل إلى الدرج الأسفل وينكمش الأجر إلى الحد الذى يقيم أود الحياة.

وكما يفقد العمال فى أفكار الإخوان نقاباتهم وإتحادهم العام والصلة مع الإتحادات العالمية، فإنهم يفقدون أيضا سلاحهم المباشر فى الضغط على الرأسماليين.. يفقدون سلاح الإضراب الذى طالما هاجموه فى كل المواقف التاريخية السابقة وجميعنا يعلم أن الرأسمالى لايخشى شيئا قدر توقف عجلات الإنتاج.. وعجلات الإنتاج لا تتوقف إلا بقرار جماعى من أغلبية عمال المصنع .. فإذا استخدم الإخوان سلاح تحريم الإضراب.. فهم ينحازون بذلك إلى صف الرأسمالى ويدافعون له عن مصالحه..{ تحل المشاكل بالتفاهم مع من يعنيهم الأمر.. لا بالإضرابات واحراق المصانع والمركبات والمنشآت العامة} (١٧) هجومهم على سلاح الإضراب لاينحصر فى أوقات تفجر الأحداث فقط وإنما فى أوقات السكون أيضا نجدهم يرسخون لفكرة الفردية وضرب الروح الجماعية لدى العمال..

فإذا مانجحوا فى زرع روح الفرقة بين العمال فلن تتوقف عجلات الإنتاج أبدا إلا بإرادة الرأسمالى وحسب مصالحه.. فينقلب بذلك الوضع ويضاف إلى الرأسمالى عاملا جديدا من عوامل القوة يضغط به على العمال لقبول كل شروطه المتعسفة.. والإخوان يعرضون لهذا المنطق بطريقة ملتوية وسماحة زائفة حينما يقولون:- حسنا.. العامل الذى لايعجبه عمله فليتركه.. ولكن

بمفرده ولا شأن له بالآخرين:

ومادام من حق الفرد أن يباشر العمل الذى يريده، فمن حقه أن يترك العمل إذا شاء، ولكن هذا الحق مقيد بعدم الإضرار بالمصلحة العامة ولهذا قال الفقهاء " يجوز لولى الأمر حمل أرباب الحرف والصناعات على العمل بأجرة المثل إذا امتنعوا عن العمل وكان فى الناس حاجة لصناعتهم وحرفهم، ومن ثم لانرى مسوغا للإضراب العام من قبل العمال فى الدولة الإسلامية ذلك أن فى هذا الإضراب تعطيلا للإنتاج ، واضرارا بالمصلحة العامة، وإذا قيل أن فيه وسيلة لحمل أرباب العمل على إنصاف العمال، كتعديل أجورهم فهذا التبرير لامكان له فى الدولة الاسلامية لأن الدولة مأمورة بإقامة العدل، ومن العدل حصول العمال على أجورهم العادلة منها إن كانوا من عمالها ، وإن كانوا يعملون عند غيرها من المواطنين فعلى هؤلاء أن يعطوا الأجر العادل، فإن أبوا تدخلت الدولة لإقامة العدل بين هؤلاء فى مسألة الأجور، فلا يضار عامل ولا رب عمل، فتستقيم أمور المجتمع وتنجو من الرجات.] (١٧)

يالها من حرية مطلقة على طريقة فكر لنفسك فقط.. وإختر ماتشاء لنفسك فقط.. أما التفكير مع الآخرين، وأحاسيس التضامن والأهداف المشتركة فتلك جرائم لو فعلها أى عامل فلن يجد إلا الردع الفورى.

إنهم يسمحون للعامل بحق التوقف عن العمل.. وهذا معناه ببساطة خروجه من العمل، وهذا لا يمت إلى الإضراب بصلة.. ولايشكل أى وسيلة ضغط على الرأسمال من أجل تحسين ظروف العمل، بل على العكس إنه وسيلة ضغط على العمال حتى لايعربوا عن أى تمرد.. فالتمرد الفردى

المسموح به معناه القذف إلى عارضة الطريق ، ولذلك سيفكر أى عامل آلاف المرات قبل أن يعلن موقفه، وسيرضخ للشروط القائمة لإن فى إنتظاره تعسفات أخرى من نوع العمل الإجبارى.

إنهم يخافون المواقف الجماعية، ولذلك يحاولون أن يزرعوا وعيا مضادا وأفكارا مناوئة:

- فردية العامل ضد فكرة طبقة عاملة متضامنة وقوية.

- إمتناع العامل الشخصى عن العمل ضد سلاح الإضراب الجماعى وخطورة فتاوى الإخوان أنها محاولة للتخفى تحت ثياب الدين لزرع وعى مضاد فشلت أجهزة رأس المال التقليدية ودعايتها فى زرعه.

{ إن قبول العمال للحلول الإسلامية فى المنازعات أمر طبيعى يتصل بعقيدة كل مسلم .. فقد رباهم الإسلام على الرضا والطاعة.} (١٨)

وباسم الإسلام على العامل أن يرضى بكل قوانين القمع، وإذا مافكر فى التمرد الفردى.. هذا الحق الذى خولوه له من قبل لنفى حق الإضراب الجماعى.. فإنه سيصبح عاطلا عن العمل، وعندها يعدون له عقابا أشمل ربما يودى بحياته كلها.. فهم يسلمون للحاكم حق التعزير ضد كل أفراد الشعب الذين لايعملون:

{من حق الإمام أن يعزر الناس على المعاصى التى لاحد فيها ولا كفاره، وأن يؤدبهم بما يراه ملائما من العقوبات وأن لايسمح لهم باتخاذ سؤال الناس حرفة لهم.} (١٩)

وبالطبع فإنهم لايريدون من العمال أمام هذا الجبروت العاتى سوى الطاعة ثم الطاعة والرضوخ الكامل، بحجة أن: { العامل المصرى قنوع ،

هادئ وديع، والأفكار المتطرفة لم تتمالك بعد إلا قلة قليلة لا يؤدبه بها، ولولا قسوة الحياة وشدة الغلاء.. لما شكا العمال.} [٢٠]

إن فكرة القناعة.. القديمة.. الحديثة فى فكر الإخوان تتقابل مع الرضوخ لاشد ظروف الحياة قسوة.

فكرة يقدمها الإخوان مغلفة بغلاف الدين ومزركشة بوعود الجنة الموعودة للجانب الضعيف.. الفقير فى التركيبة الاجتماعية ليأبدوا له وضعه ويصلبوه فى قناعات زائفة.. وبذلك يكون الإخوان قد رسخوا للرأسمال حلمه وجسدوا له أمانيه وكسوها لحما وعظما.

مراوغون حتى الموت

والآن بعد تلك الرحلة الطويلة فى المواقف والأفكار والتفاصيل ربما يساعدنا رصد المشترك بينها على فهم الطبيعة الأساسية لجماعة الاخوان المسلمين:-

الملاحظة الأولى تدور حول وجود أزمة اجتماعية واضحة تسبب حالة من السخط الشعبى العام، ويكون حجر الزاوية المعبر عن هذا السخط المتفجر وغير المكتوم هو فى تحرك الكتل العمالية الضخمة فى المصانع.. فتزداد وتيرة الإضرابات والإعتصامات العمالية التى تبدأ بشكل عفوى كرد فعل للغلاء الفاحش والبطالة والتضخم ، ثم سرعان ماتبدأ فى إكتساب وعى سياسى ذا طابع يسارى غالبا.

الملاحظة الثانية: هى فى كيفية تعامل السلطات القائمة مع الحركات العمالية، فهى تلجأ كالعادة إلى استخدام وسائل القمع التقليدية المتمثلة فى الشرطة والجيش. وتبدو لها تلك الوسائل غير كافية لاستيعاب الغضب الشعبى فى حالة إتساعه ووصوله إلى نقطة تهدد كيانها من الأساس. فتبحث عن حل سياسى له رطانة فكرية تقنع الجمهور الساخط وتحتويه عبر آليات أخرى.

الملاحظة الثالثة: هى فى وجود جماعة الإخوان المسلمين فى الأوساط غير العمالية مستغلة وضع الأزمة ومنطلقة منه.

الملاحظة الرابعة والأهم : هى فى تبلور علاقات وثيقة بين جماعة الإخوان

المسلمين وبين بعض رموز الرأسماليين والحكام الذين يقومون بقمع الحركة العمالية بشراسه، بينما يتركون حرية الحركة للإخوان ويساعدونهم فى الخفاء ويذللون لهم صعاب الحركة والإنتشار.

وفى كل مرة حدث فيها هذا اللقاء قام الإخوان بدور مساعدة هؤلاء الحلفاء فى مهمة قمع الطبقة العاملة وتسكين تمردها.

- لقد ساعد الإخوان حكومات الأقلية { اسماعيل صدقى- على ماهر- محمد محمود - النقراشى} فى كسر الإضرابات العمالية أثناء الثلاثينات والأربعينات.

- وأيدوا عبد الناصر فى مذابح كفر الدوار عام ١٩٥٢.

- وهاجموا اضرابات عمال حلوان في السبعينات وإضراب الحديد والصلب في الثمانينات.. فهل كان كل ذلك محض مصادفة..؟؟

- هل كان محض مصادفة السماح لهم بحق تكوين فرق الجوالة وإصدار عدة مجلات والتمتع بحرية عقد الإجتماعات فى الوقت الذى كانت الأحكام العرفية مفروضة على الحياة السياسية برمتها فى مصر...؟؟؟

- هل كان محض مصادفة أن يمنح الإخوان حق إصدار جريدة يومية عام١٩٤٦، بينما كل الصحف الأخرى تعانى من وطأة قانون الرقابة على الصحف..؟

- هل كان محض مصادفة أن يكون أعداء العمال وسفاحيهم " صدقى - ماهر" وغيرهم هم أصدقاء الإخوان...؟

- هل كان محض مصادفة أن يكون شهر العسل القصير بين عبد الناصر

والإخوان المسلمين هو نفس الوقت الذى مثل ذروة قمع الإضرابات العمالية..؟

- هل كان محض مصادفة أن يعود الإخوان فى السبعينات بعد طول غياب عن الحياة السياسية، وتجرى للجماعة عمليات تدليك صناعية لبث الحياة فى أطرافها الميتة فى وقت تصاعد المظاهرات الطلابية والعمالية...؟

***

سجل طويل من العداء يحمله الإخوان للطبقة العاملة ، ومجرد سرد وقائعه يكشف عمق الجماعة وجوهر وجودها وحقيقة دورها الذى ينتظره منها حلفاؤها من الرأسماليين.. بينما تموهه وتلونه الدعاية شتى التلوينات حتى تكاد تخفيه تماما عن الأنظار.

فالإخوان يدعون أنهم يعملون لصالح كل طوائف الأمة.. بينما مواقفهم لاتتساوى أبدا إزاء أصحاب الأملاك والعمال، وكل كتاباتهم النظرية تكشف عن مدى الإنحياز للطرف الأول دون الطرف الثانى.

ومع ذلك فهم يدركون أن من أهم مقتضيات وجودهم الاجتماعى هو الانتشار وجذب الجمهور وحشده وتنظيمه، وإلا لن يكون هناك معنى لوجودهم السياسى ، فيوجهون خطابهم إلى مختلف طبقات الأمة وتعلو رطانتهم ذات الزى الإسلامى والمواعظ الدينية فتطرب السادة الرأسماليين كلما أسرفت فى التأكيد على حق الملكية، كما تجد صداها فى قطاعات الطبقة الوسطى.. ولكنها لاتجد أى صدى فى أوساط العمال الذين يستشعرون بحسهم الفطرى أن هذا الفريق السياسى يقع فى خط مفارق لنهر الحركة العمالية ومطالبها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

وفى أوقات تفجر الأحداث العمالية يبادر الإخوان إلي الهجوم على كل أسلحة العمال الجماعية مثل الإضراب عن العمل والإضراب عن الطعام وتكوين التكتلات المصنعية والعمالية.. كما يهاجمون اشتراك العمال المصريين فى اتحاد العمال العالمى بحجة أنها أشكال غريبة وليست من الإسلام فى شئ.

فى نفس الوقت الذى تجد فيه فكرة تراكم الأموال والأرباح وملكية المصانع سواء كانت صغيرة أم كبيرة ، والدعوة إلى تشغيل رأس المال واستغلال الأيدى العاملة، إستحسان الإخوان المسلمين وتأييدهم، وبذرة هذا الازدواج فى موقف الإخوان تكمن فى طبيعة الجماعة وأصولها الفكرية التى تؤكد فى كل مناسبة مبدأ الملكية وترسخ له ، ومبدأ قبول التفاوت الطبقى والمحافظة على ثروات الأغنياء بمقتضى قاعدة " وجعلنا بعضكم فوق بعض طبقات" وقول المودودى:-

{ أصبح لزاما أن يكون التفاوت بين الناس فى الكسب بحسب تفاوتهم فى المواهب والقوى والاستعداد فمنهم من يكسب أكثر مما يحتاج إليه، ومنهم من لايستطيع إكتساب مايفى بحاجاته ومنهم من يكتسب بقدر الكفاف.} (٢١)

وهنا يطمئن أى رأسمالى ويركن إلى الراحة تحت مظلة الإخوان المسلمين التى تشرع لحقه فى التملك المطلق، والنمو بلا حدود.. فثروته وأملاكه.. مصانعه ومشروعاته.. عقاراته ومنقولاته كلها فى أمان بمقتضى تلك التشريعات.. ومايسمى بالحدود الإسلامية التى يرفعها الإخوان لا تمس جيبه من قريب أو بعيد .. بل تعمل على إنتعاشه .. حتى بالنسبة للسلاح

الباتر الذى يشهره الإخوان فى فخر، بحجة أنه الحل الأمثل لتحقيق العدالة الإجتماعية وهو سلاح الزكاة.. هو حد ضعيف جدا ولا يرقى حتى إلى مرتبة الضرائب الحديثة التى يرتع فى ظلها عتاة الرأسماليين فيراكمون المزيد والمزيد من الثروات. وكل مايفعله الإخوان إزاء تضخم الثروات هو تقديم المواعظ فى استحياء.

{المجتمع الإسلامى لاينظر بعين الإستحسان والتكريم إلى الذين يدأبون على إدخار الأموال والإتساع فى الثروة، ولايصرفون فضول أموالهم إلا فى الإستثمار والتزيد.} (٢٢)

ولكن ماذا تنفع عين الإستحسان فى مجتمع يرزح تسعة أعشاره تحت خط الفقر خصوصا وأن هناك آلاف النصائح المضادة فى نفس فكر الإخوان تحض على المزيد من الإكتناز، وعلى سبيل المثال نصيحة" حسن البنا" التى يقدمها لأتباعه فى رسالة التعاليم:

{ أن تحرص على القرش فلا يقع فى يد غير إسلامية مهما كانت الأحوال.} (٢٣)

وبالطبع لن يتساوى كل المسلمين داخل تلك القوقعة العنصرية والطائفية فى إمتلاك الثروة والحفاظ عليها.. فهو خطاب عالى الصوت موجه إلى جمهور المسلمين لإستثارة النزعات الطائفية.. لكن يظل الأمر فى حدود التقسيم الطبقى القائم بالفعل.

فالإخوان حزب يتحدث باسم الأغلبية دائما بينما تعمل آلياته لصالح الأقلية الموجودة بالفعل . حزب يحشد الجمهور الواسع الناقم على الفقر تحت مظلة وعوده الواسعة ويمهد بهم الطريق لإنطلاق تلك الصفوة المالكة.

والإخوان يسارعون إلى نفى وجود الطبقة العاملة كجسد واحد كبير يقوم بعبء الإنتاج الاجتماعى ومايترتب على ذلك من المطالبة بدور سياسى يلائم هذا العبء.

وهنا نجد تفسيرا لعداء الإخوان المسلمين لحركة الطبقة العاملة المطلبية، وعدائهم لأسلحة الإضراب عن العمل وشتى الأسلحة الأخرى المعبرة عن الروح الجماعية.

كما نجد تفسيرا لتحالف بعض الرموز الرأسمالية وبعض الحكام مع الإخوان ، ومساعدتهم فى الصعود.

ولكن هل هذا التحالف هو تحالف دائم. يطرح نفسه بحدة على الصعيد الاجتماعى دائما.. أم أنه يتعرض للذبذبات وتقلبات شتى..؟

لقد طفحت بثور الإخوان المسلمين على سطح المجتمع فى الفترات التاريخية السابق الإشارة إليها، وإختفت فى فترات أخرى.. صعدت بعض الوقت وشفى منها المجتمع فى البعض الآخر.

وفى كل مرة إنقلب حلفاؤها إلى أعداء أنزلوا بها مختلف أنواع العقاب.. فتفتت الجماعة وقتل " حسن البنا" على يد " ابراهيم عبد الهادى" رئيس وزراء إحدى حكومات الأقلية ثم سحقت الجماعة وشنق سيد قطب فى سجون عبد الناصر.

وهكذا تحول أصدقاء الأمس إلى أعداء للجماعة. فما الذى يحدد الصعود والهبوط. هل هى إرادة الإخوان فقط..؟ إذا كان الأمر كذلك فهم بلاشك يريدون التوسع والإنتشار دائما. شأنهم فى ذلك شأن أى جماعة سياسية.

ولكنهم ليسوا الطرف الوحيد فى اللعبة السياسية.. الرأسمالية هى الطرف الأساسى هنا.. هى التى تغمض عينيها عن توسعهم طالما هى فى حاجة إليهم.. وتمنحهم التسهيلات والمقرات وتصاريح إصدار المجلات والجرائد.. وتترك لهم هوامش واسعة لحرية الحركة.. ثم تتعقبهم وتحاصرهم حينما تقل حاجتها إليهم أو تختفى.. فلماذا تلجأ إليهم حينا وتطمرهم فى التراب أحيانا أخرى..؟

الملاحظة الأساسية التى نلمحها من خلال تأمل تاريخهم.. هى وضع الأزمة الاجتماعية وعلاقة ذلك بظهور المقاومة العمالية.. فطالما كانت الرأسمالية قادرة على تسيير دفة شئون المجتمع وإستمرار قوانين العمل والربح لصالحها، وإحداث التراكم بلا صعوبات.

وطالما كانت الروح السائدة فى الأوساط العمالية يغلب عليها السكون النسبى أو القلق غير الخطر.

ففى تلك الحالة لاتحتاج الرأسمالية إلى مثل هذا الحليف الفج الذى يستدعى وجوده نشر عباءة الفزع والقضاء على مظاهر الحرية وحرمانها من مظاهر الترف واللهو - إلى حد المطالبة بتغيير عادات المأكل والمشرب والملبس-، كما يستلزم وجوده إحداث فتنة بين طوائف الأمة من المسلمين والمسيحين ، بالإضافة إلى إضطهاد النساء، وغيرها من سمات فكر الإخوان والجماعات الإسلامية الأخرى.. إنها لا تلجأ إليهم إلا فى أوقات الشدة، إذا استفحلت الأزمة وانتشرت أمراض الركود والبطالة والتضخم وزادت حدة إفقار الجماهير وغضبها أيضا.. وراحت تبحث عن حل. فإن الرأسمالية فى تلك الحالة تفضل التعامل مع وكيل سياسى يملك القدرة على توجيه خطاب

عالى الصوت إلى تلك الجماهير البائسة وتقديم الوعود لها ومداعبة حلمها فى الثراء دون أن تمس دعايته مبدأ الملكية من قريب أو بعيد.. بل تحميه تحت مظلة وهمية من فتاوى الحلال والحرام.

ويزداد خوف الرأسمالية وترتعد فرائسها كلما تصاعدت الحركة العمالية، وكلما نضجت بذرة التهديد لمجمل الأوضاع بالتمرد والعصيان ومختلف الإشارات النضالية. خصوصا إذا ما تقابلت الطبقة العاملة فى لحظات تمردها مع من يجسد جوهر الصراع ويصوغها فى وعى سياسى جذرى يبحث عن حل لمشكلة صراع الطبقات من الأساس. هنا يزداد الخطر وتشحذ الرأسمالية كل وسائل مقاومتها.

واذا لم تكن أدوات القمع المكثف كافية ، فهى تلجأ إلي لعبة إنعاش بعض الجماعات السياسية ذات الدعاية العالية الصوت والقدرة على استقطاب شرائح من الجمهور البائس.. وفى اللحظات الحرجة يمكن إستخدام الفرق المنظمة لهذا الجمهور ضد حركة التمرد العمالى الواسع.

والإخوان المسلمون فصيل سياسى يرفع راية الدين ويتحدث باسم الأمة الإسلامية ويؤمن بالملكية ويكره النضال الجماعى للطبقات.. ويوجه خطابه الإنشائى المزركش إلى جمهور عريض يأكل الفقر قاعدته السفلى، ويسحب مدخرات شرائحه العليا فيهددها هى الأخرى بالإفقار.. ويغازل لديها رغبتها الجبانة فى الحفاظ على فتات المدخرات كما يداعب لديها حلم الإثراء والترقى الاجتماعى.. فهل يكون غريبا بعد ذلك أن نجد جمهور الإخوان الرئيسى يتكون من التجار والمهنيين والموظفين بالإضافة إلى طلاب الجامعة.. بينما لا نجد لهم وجودا محسوسا فى أوساط العمال. وإن وجد فلا

يتعدى أفراد قلائل لايستطيعون جذب النهر العام للحركة العمالية. وكما لاحظنا فى المتابعة التاريخية السابقة أن الطبقة العاملة كانت ترفض بحسها الفطرى الإندماج تحت راية الإخوان فى كل مرة حاولوا إجتذابها فيها..

***

إذن ظهرت بثور الإخوان السياسية أثناء بعض أزمات الرأسمالية وصعود المقاومة العمالية. ولكن الرأسمالية لم تستخدم الإخوان حتى النهاية قصفتهم فى منتصف الطريق.. ثم عادت وتركت لهم هامشا جديدا للوجود.. ثم ضربتهم من جديد.. وهكذا فى سلسلة من المتواليات. ولم تمكنهم حتى الآن من تحقيق حلمهم فى الصعود إلى السلطة.. فقط إستخدمتهم فى بعض لحظات الإختناق.. ومن جهة أخرى نمت جماعة الإخوان وتضخمت بفضل مساعدات الحليف وتسهيلاته إلى الحد الذى ظن معه قادة الجماعة أنه لم يعد بينهم وبين كرسى الحكم سوى شعرة رقيقة.. ويبدو أن حساباتهم كانت خاطئة فى تلك الأحيان.. فأكلهم حلفاؤهم قبل أن يتحركوا قيد أنملة نحو هدفهم.

وربما لم تطرح المسألة بحدة بعد.. لم تطرح قضية وجود الرأسمالية أو عدم وجودها على هذا المحك أبدا فى مصر.. فى كل الأوقات السابقة كانت الرأسمالية تتقدم عبر تلك الأزمات غير المستحكمة وتجد منفذا لإحداث تراكم جديد. وبالتالى لم تجد نفسها مضطرة لتسليم كل شئ إلى وكيل سياسى يقوم بتشغيل دولاب العمل بالنيابة عنها.. فلم تضطر إلى تجرع كأس مرارة الإخوان المسلمين وعنفهم.

وذلك بسبب أن تمرد الطبقة العاملة لم يصل أيضا فى كل اللحظات

الماضية إلى المحك الأخير، ولم يرقى نضالها إلى درجة الوعى السياسى الكافى.

ولم تتجسد أشكال وجودها السياسى المستقل.

وهكذا تعاملت بعض رموز رأس المال مع الإخوان المسلمين فى وقت استفحال الأزمة وتركوا لهم هوامش عديدة للوجود والنمو.. لكن حينما إزداد خطر الإخوان انفسهم بمعدلات أعلى من نسب خطر الجماعات السياسية الأخرى.. فإن نفس رموز رأس المال لم يترددوا فى القضاء على هذا الحليف المستشرى.. فتعقبوا خلاياه وضربوها بلارحمة . وهكذا لم تكتمل الدائرة بل نكصت على أعقابها.. وقلمت أظافر الإخوان غير مرة فى لعبة مزدوجة الخطر.. دقيقة الحسابات شأن لعبة صراع القوى والتوازنات السياسية فى أى مجتمع.. وثمة خيوط غير مرئية تشد الجماهير التى تتبع حزب الإخوان المسلمين.. هذه الجماهير التى تطيعهم طاعة عمياء تحت ستار الدين، ولا تنتبه إلى مغزى التحالفات السياسية بين قادتهم وبين رموز رأس المال.. ولا تفيق تلك الجماهير إلا على إثر هزيمة كبرى ودمار شامل يفضح حقيقة دعايتهم الضخمة.

***

وإذا كان الفشل الذريع من نصيبهم فيما مضى.. فلا أحد يدرى ماذا سيحدث فى المستقبل..؟

- هل ستفقد الطبقة العاملة حذرها القديم وتنخدع بدعاواهم وتضعف مقاومتها لهم، فيكون هلاكها المعنوى والمادى أيضا..؟

- هل ستأتى أزمة اجتماعية طاحنة ترتفع فيها موجة الإخوان فيتغلبون

على الأعداء والحلفاء ويصعدون إلى السلطة...؟

- أم ستتغير الظروف برمتها ويندثر حزب الإخوان...؟

لا أحد يملك الإجابة الشافية.. كل الإحتمالات ممكنة وغير ممكنة فى نفس الوقت.

هوامش الفصل الرابع

١- ابراهيم النعمة- العمل والعمال فى الفكر الإسلامى - الدار السعودية للنشر والتوزيع .

٢- ابراهيم النعمة- المصدر السابق.

٣- الإخوان المسلمون / تاريخ ١٩٤٨/٦/٩ - ايجابية الإسلام فى مقاومة الشيوعية.

٤- عبد القادر عودة - الإسلام وأوضاعنا القانونية- دار الكتاب العربى ص٨٩.

٥- أبو الأعلى المودودى- معضلات الاقتصاد وحلها فى الإسلام المطبعة السلفية.

٦- حسن البنا.

٧- إباراهيم النعمة - العمل والعمال- المصدر السابق.

٨- سيد قطب / العدالة الاجتماعية فى الإسلام/ دار الكتاب العربى .

٩- السيد أبو الحسن البدوى- الأركان الأربعة والصلاة، الزكاة، الصوم، الحج). فى ضوء الكتاب والسنة مقارنة مع الديانات الأخرى - دار الفتح للطباعة والنشر/ الطبعة الثانية ٣٣٨هـ/١٩٦٨. ص١٣١.

١٠- سيد قطب. العدالة الاجتماعية- المصدر السابق.

١١- أبو الأعلى المودودى- معضلات الإقتصاد وحلها في الإسلام.

١٢- ابراهيم النعمة- المصدر السابق.

١٣- ابراهيم النعمة- المصدر السابق.

١٤- الإعتصام - العدد ١٦- السنة ٢٦"٣٩٠" سبتمبر ١٩٧٧ ص٢٠ نقابات المنتجين بقلم أحمد عزت مدنى.

١٥- الإعتصام - المصدر السابق.

١٦- الدعوة - العدد التاسع والأربعون السنة التاسعة والعشرون ٤٢٣ يونيو٨٠ ص٢٩ من أنت.

١٧- صوت الحق- الجماعة الإسلامية - جامعة القاهرة- كتاب إسلامى دورى- الفرد والدولة فى الشريعة الإسلامية الدكتور عبد الكريم زيدان.

١٨- ابراهيم النعمة- المصدر السابق

١٩- ابراهيم النعمة- المصدر السابق

٢٠ مجلة الدعوة- الثلاثاء ١٣ ربيع الآخر١٣٧٢/٣٠ديسمبر ١٩٥٢- ماذا يريد العمال..؟

٢١- أبو الأعلى المودودى- معضلات الإقتصاد- المصدر السابق.

٢٢- أبو الأعلى المودودى- المصدر السابق.

٢٣- حسن البنا- مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا المؤسسة الإسلامية- للطباعة والصحافة والنشر.

مراجع

١- ابراهيم النعمة - العمل والعمال فى الفكر الإسلامى ، الدار السعودية للنشر والتوزيع.

٢- أبو الأعلى المودودى - معضلات الاقتصاد وحلها فى الإسلام ، المطبعة السلفية

٣- أحمد ابراهيم موسى- من بين صفوف الطبقة العاملة المصرية ١٩٤٣-١٩٧١ ، رؤية موضوعية من خلال تجربة شخصية ، دار المستقبل العربى

٤- أحمد صادق سعد- صفحات من اليسار المصرى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية. ١٩٤٥-١٩٤٦، مكتبة مدبولى ١٩٧٦

٥- أمين عز الدين - تاريخ الطبقة العاملة المصرية منذ نشوءها حتى سنة ١٩٧٠ ، دار الغد العربى- الطبعة الأولى ١٩٨٧

٦- أنور السادات - أسرار الثورة المصرية تقديم جمال عبد الناصر، سلسلة الهلال ١٩٥٧.

٧- باقر شريف القرشى - العمل وحقوق العامل فى الإسلام ، دار التعارف للمطبوعات - بيروت - النجف

٨- جمال سليم - التنظيمات السرية لثورة ٢٣ يوليو فى عهد جمال عبد الناصر ، مكتبة مدبولى ١٩٨٢.

٩- حسن البنا- حديث الثلاثاء سجلها وأعدها للنشر أحمد عيسى عاشور

١٠- حسن البنا- مذكرات الدعوة والداعية - دار الإعتصام
١١- حسن البنا- منبر الجمعة - المجموعة الأولى - دار الدعوة.
١٢- حسن البنا- مجموعة رسائل الإمام الشهيد المؤسسة الإسلامية للطباعة.
١٣- رفعت السعيد- حسن البنا مؤسس حركة الإخوان المسلمين متى - وكيف ولماذا ، دار الطليعة بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٨
١٤- ريتشارد ب- ميتشيل- الإخوان المسلمون - ترجمة عبد السلام رضوان - دار القلم- بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٩٧٨
١٥- د. سامى أبو النور- دور القصر فى الحياة السياسية فى مصر،١٩٣٧- ١٩٥٢ مكتبة مدبولى
١٦- سيرانيان - الوحدة والإخوان المسلمون - ترجمة بشير السباعى دار أزال للطباعة والنشر - بيروت/مدبولى القاهرة
١٧- د. سليمان محمد النخيلى- الحركة العمالية فى مصر وموقف الصحافة والسلطات المصرية منها من سنة ١٨٨٢إلى سنة ١٩٥٢- الاتحاد العام للعمال ١٩٦٧- الطبعة الأولى.
١٨- سيد قطب- العدالة الاجتماعية فى الإسلام- دار الكتاب العربى
١٩- طه سعد عثمان - مذكرات ووثائق الطبقة العاملة والعمل السياسى من تاريخ عمال مصر- الطبعة الأولى - مؤسسة العروبة
٢٠- طارق البشرى - الحركة السياسية فى مصر
٢١- طه سعد عثمان - من تاريخ عمال مصر- الكتاب الثانى.
٢٢- د. عبد العظيم رمضان - عبد الناصر وأزمة مارس ١٩٥٤، روز

اليوسف ١٩٧٦
٢٣- د. عبد العظيم رمضان - تطور الحركة الوطنية فى مصر من سنة ١٨ إلى سنة ٣٦ دراسات فى القومية العربية، الطبعة الثانية ١٩٨٣-. مكتبة مدبولى
٢٤- عبد المغنى سعيد- العمال وثورة ١٩- كتاب العمل ، العدد ٦٢/ إبريل ١٩٦٩
٢٥- صوت الحق - الجماعة الإسلامية - جامعة القاهرة - ١٤- الفرد والدولة فى الشريعة الإسلامية - د.عبد الكريم زيدان
٢٦- عبد القادر عوده- الإسلام وأوضاعنا القانونية ، دار الكتاب العربى
٢٧- فتحى كامل - مع الحركة النقابية المصرية فى نصف قرن ، صفحات من ذكريات - دار الغد العربى - الطبعة الأولى ١٩٨٥
٢٨- د. لطيفة محمد سالم- فاروق وسقوط الملكية فى مصر ، مكتبة مدبولى - الطبعة الأولى ١٩٨٩
٢٩- مارسيل كولومب- تطور مصر ١٩٢٤- ١٩٥٠ ، ترجمة زهير الشايب - مكتبة مدبولى
٣٠- محمد نجيب - كلمتى للتاريخ - دار الكتاب النموذجى
٣١- المسح الإجتماعى الشامل للمجتمع المصرى- ١٩٥٢ ١٩٨٠ ، البناء السياسى المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية
٣٢- اسماعيل صدقى- مذكرات - دار الهلال ١٩٥٠.
٣٣- جون بنين- العمال على ضفاف النيل بالإنجليزية.
Worker on the Nile Nitionalism, Communism, Islam

and the Egyption.
Working class 1882 - 1954. By Joel Beinin and Zachary Lockman

مراجع الدوريات

١- الأخبار - جريدة يومية سنة ١٩٥٢
٢- الأهرام- جريدة يومية سنة ١٩٥٢
٣- الإعتصام : مجلة سنوات ١٩٧٥ , ١٩٧٦ , ١٩٧٧
٤- الإخوان المسلمون - جريدة يومية ١٩٤٦وحتى ١٩٤٨
٥- الإخوان المسلمون - مجلة اسبوعية
٦- الإخوان المسلمون - مجلة شهرية
٧- النذير - مجلة
٨- الدعوة - مجلة سنوات ١٩٥٢ -١٩٥٣ ومن١٩٧٦ حتى ١٩٨٠
٩- المصور - مجلة سنوات ١٩٤٦-١٩٤٧ومن ١٩٥٢وحتى ١٩٥٣
١٠- الشعب - جريدة ديسمبر ١٩٨٦- فبراير ١٩٨٨، اكتوبر- فبراير١٩٩١
١١- لواء الإسلام - مجلة ١٩٨٩
١٢- الوفد - جريدة أغسطس ١٩٨٩.

محتويات الكتاب

رقم الإيداع: ٣٨١١/ ٩٢
I. S. B. N
977 - 00 - 2662 - X

طبعت بمطابع شركة الامل للطباعة والنشر
إحوار مورفيتلي سابقا
تليفون : ٣٩٠٤٠٩٦

الإخوان المسلمون والطبقة العاملة المصرية

- كيف ينظر الإخوان المسلمون إلى العمال
- وكيف يرون الطبقة العاملة ؟
- ما هو موقف الإخوان المسلمين - على مدى تاريخهم - من الصراعات التى خاضتها الطبقة العاملة ضد أعدائها - مثلا فى عام ١٩٤٦ ، وفى ١٨ ، و١٩ يناير ١٩٧٧ .
- ما هو موقفهم من نقابات العمال وإضراباتهم واعتصاماتهم ؟
- على هذه الأسئلة وغيرها يحاول هذا الكتاب أن يجد الجواب من خلال بحث مادة حية من أحداث ووقائع ومواقف .

تصميم الغلاف إبراهيم البار